بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

تربية المرأة في فكر القرضاوي

مقدم من الطالبة

إنصاف أيوب المومني

حقل التخصص

التربية الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور عباس محجوب مشرفاً رئيساً

الأستاذ الدكتورة شادية التل مشرفة مشاركة

2006/2005

تربية المرأة في فكر القرضاوي

إعـــــداد

إنصاف أيوب المومني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

وافق عليها

أ.د عباس محجوب .... **مشرفاً رئيساً**

أستاذ في التربية الإسلامية / جامعة القرآن الكريم

أ.د شادية التل .... **مشرفة مشاركة**

أستاذ في علم النفس التربوي / جامعة اليرموك

أ.د محمود قمبر .... عضواً

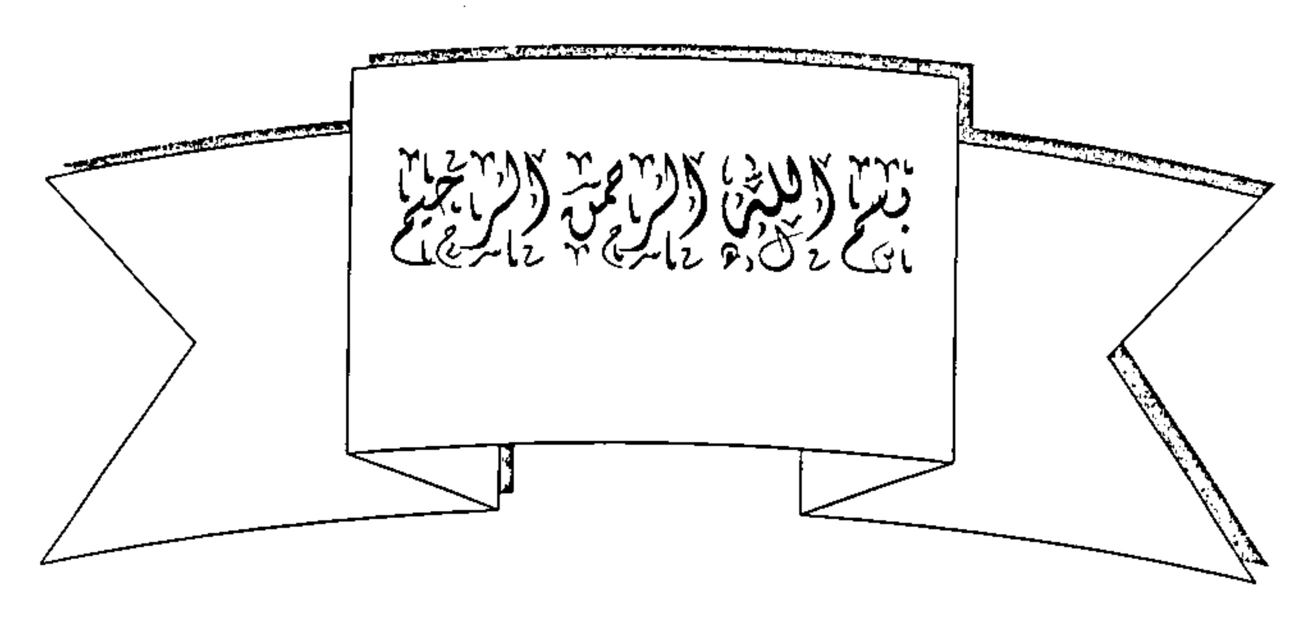
أستاذ في مناهج اللغة العربية / جامعة القاهرة

د. سميح كراسنة .... عضواً

أستاذ مساعد في الدراسات الاجتماعية / جامعة اليرموك

١٤٢٦هـ

٢٠٠٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى المرابطين في ساحة العلم لرفع لواء الحق ولإشعال فتيلة الإبداع في المشروع الحضاري الإسلامي

إلى النبع الصافي . . . الذي سقى الآخرين من قطر علمه

إلى العلامة الدكتور "القرضاوي"

إلى روح أبي الطاهرة . . . رحمه الله

إلى نبع الحنان والدفء

أمي الغالية

إلى من قاسموني كبد العلم ومشقة الدرب

زوجي العزيز

وأمل الغد . . .

أسامة، ودانية، وأنس، وعبد الله

إلى رفقاء الدرب وعبق الذكريات

أشقائي جميعاً وشقيقتي

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحثة

شكر وتقدير

بعد أن منّ الله عليّ بإتمام هذه الدراسة، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان إلى أساتذتي جميعاً، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عباس محجوب، والأستاذة الدكتورة شادية التل لما كان لتوجيهاتهما الأثر الطيب في إعداد هذه الدراسة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من الأستاذ الدكتور محمود قمبر، والدكتور سميح كراسنة لتفضلهما بقبول مناقشة رسالتي.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الدعاء إلى كل من أسدى لي معروفاً، وساهم في إخراج هذه الرسالة وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد عقلة الإبراهيم، والدكتور علاء الدّين رحال.

فهرس المحتويات

الملخص باللغة العربية

المومنـــي، إنـــصاف أيـوب، تـــربية المرأة في فكر القرضاوي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م، المشرف الشرعي: أ.د عباس محجوب. المشرف التربوي: أ.د شادية التل

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أبرز معالم تربية المرأة في فكر القرضاوي من الناحيتين الإيمانية والاجتماعية.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول:

تناول الفصل الأول: سيرة القرضاوي الشخصية، والمصادر التي كونت معرفته التربوية.

تناول الفصل الثاني: التربية الإيمانية للمرأة وطرقها ومعيناتها، تناول الفصل الثالث: التربية الاجتماعية للمرأة مسلط الضوء على قضايا المرأة لنقلها إلى قلب العصر وتحدياته ومعطياته.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- يعد القرضاوي من الرواد المعاصرين، ومن أبرز السمات الشخصية له: علو الهمة، ورحابة الصدر، والوفاء، وله عطاء علمي مميز.
- هناك عدة مصادر كونت معرفة القرضاوي منها: القرآن الكريم والسنة النبوية ودراسته الأزهرية، وتجربته العملية في الدعوة، وتأثره ببعض العلماء.
- التوحيد والإخلاص، والإيمان بالقدر والعبادة، والصبر، والأمل والرجاء هذه مجتمعة ركائز التربية الإيمانية للمرأة.
- من أهم معينات التربية الإيمانية كما يراها القرضاوي: العلم الراسخ، والمجاهدة للنفس، والصحبة الصالحة، وذكر الموت، والدعاء، والاستعانة بالله، وقراءة سيرة الصالحين، ومعرفة الإنسان ضعفه وعجزه.

- أبرز معالم التربية الاجتماعية كما يراها القرضاوي: إعداد المرأة بنتاً بارة وزوجة صالحة، وأماً فاضلة، لتقوم بوظيفتها الاجتماعية بأعلى درجاتها الممكنة، وإن ترك المرأة الساحة الدعوية وانعزالها عن الحياة وجهلها بالتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها هو قصور في فهم حقيقة هذا الدين، حيث أن العمل لإصلاح المجتمع واجبٌ شرعيٌ مكلفة به المرأة كما كلف به الرجل، كل حسب قدرته واستعداداته الفطرية.

وانتهت الدراسة بعدة توصيات.

١. الاستفادة من معطيات العصر ومستحدثاته للتربية الإيمانية للمرأة.
٢. تصحيح مفهوم التربية الاجتماعية في ذهن المرأة ومحيطها والتمييز بين الموروث الاجتماعي والمعرفة الدينية لتقود المرأة وظيفتها الاجتماعية التي أرادها الله باعتبارها واجباً شرعياً مكلفة به المرأة كما كلف به الرجل.
٣. تشجيع النساء ممن يمتلكن مواهب وقدرات خاصة لارتياد المجالات التي تخدم مصلحة الدعوة.
٤. العمل ضمن جهد مؤسسي لبناء نظرية إسلامية لتربية المرأة تطفئ ظمأ العصر وتمتص تحدياته ومعوقاته وتستفيد من معطياته وتجد فيها المسلمة النجاة من عذاب الآخرة حيث تسير من خلالها على هدى ونور.
٥. إجراء دراسات لتربية المرأة في مجالات أخرى كالتربية النفسية والتربية الجمالية والتربية الثقافية.

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه.

عُني الإسلام بالمرأة عناية خاصة فهي تمثل نقطة الثقل في تكوين الأسرة نواة المجتمع الصالح. فقد انتشلها من حضيض الذل والدونية والتبعية المطلقة للرجل إلى علياء الأنوثة، والمستوى السامي الوضيء. ولم يكن هذا بدعاً من القول فقد قص علينا القرآن الكريم من النماذج الإيمانية النسائية اصطفاها رب العزة لمعاني الخير والبر قال تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣)" (آل عمران ٤٢-٤٣).

إن قضية المرأة تشغل على الساحة الإسلامية والعالمية حضوراً بارزاً، وتعد من المفاصل الحساسة في الحياة الإسلامية المعاصرة. وثمة ما تقع تحت مظنتي الإفراط والتفريط حيث تؤول إحداهما إلى الانسحاب والتقوقع وجرها إلى عصور التخلف انتصاراً لتقاليد جائرة مما يشل أحد جناحي أمتنا فاليد الواحدة محال أن تشيد حضارة، ويخدم مخططات أعدائنا ويحقق لهم الغلبة علينا. وتؤول أخراهما للانفتاح على الآخر من غير ضبط لتسرّب متاعب البيئة الغربية إلى ساحاتنا بعد أن حصنها الإسلام من غوائل الانحطاط والانحدار الخلقي.

وفي وسط هذه المناخات المحمومة نزداد إلحاحاً بضرورة تربية المرأة بما يحميها من لوثة المغرضين، وتنطع الجاهلين، ويرفعها إلى مصاف المبدعين والمحسنين في الآجل والعاجل.

إن النهوض بهذا الإنكسار إلى الإبداع الحضاري، والعودة بالإسلام إلى سالف مجده يقوم على دعامة متينة، وهي تربية المرأة الصالحة المتدفقة رقة وحناناً المترعة بالطاقة الإيمانية القادرة على ملء البيوت بالسكينة والحب والجمال تجيد صناعة الإنسان وفق منهج الإسلام وهديه، لننتقل من الانفعال إلى الفعل، ومن العشوائية إلى التخطيط، ومن الغوغائية إلى العلمية. وقد التبس الحق بالباطل في قضية المرأة في واقعنا المعيش واختلط الصواب والخطأ ووقع الغلو والتقصير.

لهذا؛ جاءت هذه الدراسة لتجمع بين محكمات الشرع، ومقتضيات العصر؛ لنستقي من فكر القرضاوي الذي تناول تربية المرأة بمنهج وأسلوب يجمعان بين ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر يستلهم الماضي، ويعايش الحاضر، ويستشرف المستقبل، تجري في شريانه وسطية الإسلام بعيداً عن الانزياح. شغلت قضية المرأة مساحة واسعة من اهتماماته تميز بإشراقة الأديب، ونظرة الفقيه الذي يفقه نصوص الكتاب والسنة وينزلها الواقع؛ لتطرق هذه الدراسة تربية المرأة من الناحيتين الإيمانية والاجتماعية.

وحيث أن موضوع تربية المرأة لم يبحث بشكل مستقل ومتكامل بل كانت المعلومات متناثرة في بطون المصادر، ويعتبر النواة لإحداث تغييرات مهمة في أوضاع المرأة لتنتظم وفق التربية الإسلامية السمحاء مما يؤثر في أوضاعها المستقبلية لنقطف ثمار التغيير المنشود.

وفي سبيل ذلك فقد طرقت الدراسة فكر القرضاوي حيث تناولت التعريف بصورة مختزلة وموجزة بمعالم سيرة القرضاوي مستعرضة المصادر التي كونت معرفته التربوية، ومن ثم تناولت الدراسة ركائز التربية الإيمانية والتي تعد القاعدة العريضة لشتى المجالات التربوية، ثم انتقلت إلى التربية الاجتماعية للمرأة والتي لا يمكن أن يلقي ظلال الرؤية الشرعية عليها إلا فقيه متمرس، متناولة أبرز معالمها التي طرحها القرضاوي.

وحسبي إن لم تعطِ هذه الدراسة تصوراً شاملاً لتربية المرأة أن تكون حافزاً ومدخلاً لدراسات أخرى.

وأسأل الله العفو والمغفرة عن أي قصورٍ وتقصير، وأن يشملنا الله تعالى بواسع رحمته، وأن يعلمنا وينفعنا بما علمنا إنه بعباده رؤوف رحيم.

أسئلة الدراسة

جاءت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

1- ما أبرز معالم سيرة القرضاوي؟ وتفرع عنه السؤالان التاليان:

أ. ما أبرز ملامح سيرته الشخصية؟

ب. ما المصادر التي كونت معرفته التربوية؟

2- ما أبرز معالم التربية الإيمانية للمرأة في فكر القرضاوي؟

3- ما معينات التربية الإيمانية في فكر القرضاوي؟

4- ما أبرز معالم التربية الاجتماعية للمرأة في فكر القرضاوي؟

حدود الدراسة

سوف تقتصر الدراسة على التربية الإيمانية، والاجتماعية للمرأة في فكر القرضاوي؛ حيث تعد التربية الإيمانية القاعدة العريضة للتربية ولا يمكن لتربية أن تؤتي أنجع ثمارها إن لم تنطلق من قاعدة إيمانية متينة لتقوم المرأة بوظيفتها الاجتماعية كما رسمها لها الإسلام.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال الأمور التالية:

- منزلة القرضاوي في الدوائر العلمية والمؤسسات التربوية وعند كبار العلماء والمفكرين في العالم العربي والإسلامي.
- معرفة الأبعاد التربوية التي تحدث عنها القرضاوي في تربية المرأة (البعد الإيماني والاجتماعي) للوقوف على معالم التربية الإيمانية وأسسها وأبرز القضايا والمستجدات في التربية الاجتماعية للمرأة.
- فتح الآفاق لدراسات أخرى تتناول فكر القرضاوي في جوانب أخرى.
- قضية المرأة من القضايا المثارة على الساحة العالمية وتعد من أخطرها.
- الاستفادة من نتائج البحث في الإسهام ببناء نظرية تربوية إسلامية لتربية المرأة.

الأدب السابق

في حدود اطلاع الباحثة لا توجد رسائل جامعية عالجت الموضوع غير أن الباحثة حصلت على كتب أفردت للقرضاوي وهي:

كتاب "الدكتور يوسف القرضاوي المدرسة الفكرية والمشروع الفكري" (١٩٩٧) لمحمد عمارة هدف إلى التعريف بمعالم سيرة القرضاوي، ثم أشار إلى الخطوط العريضة لخارطة المشروع الفكري للقرضاوي ومن ثم استعرض أبرز مؤلفات القرضاوي وخلص إلى أنه عالِم تزدان به الأمة، وأن مشروعه الفكري تميز بالوسطية التي هي جوهر الإسلام ولبّه.

وكتاب "في أصول الدعوة مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي"، (١٩٩٩م) "لمصطفى ملائكة"، هدف إلى التعرف على أصول الدعوة ومقومات الداعية وثقافة الداعية وخصائصه من خلال كتابات القرضاوي، وتعرض لمرتكزات الفقه المنشود: فقه الاختلاف، فقه الأولويات، وفقه الواقع، وفقه التغير، وتوصل الباحث إلى أن اجتهادات القرضاوي في الفقه قد قادته إلى حل الكثير من مشكلات الحياة المعاصرة، وفتحت باباً في الكثير من المسائل الجديدة كالمصارف الإسلامية ... وغيرها.

وكتاب "يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء" (٢٠٠١م) "عصام تليمة"، هدف إلى التعريف بأبرز ملامح سيرة القرضاوي، وأبرز صفاته، وعرض موجز لمعظم مؤلفاته والمجالات التي لمع فيها القرضاوي وخلص إلى أن القرضاوي يُعد من السقف الأعلى للأمة وأن نتاجه العلمي قد أغنى المكتبة الإسلامية.

وكتاب "كفاية الراوي عن العلامة الشيخ يوسف القرضاوي" (٢٠٠١م) "لمحمد أكرم الندوي" هدف إلى التعريف بمعالم سيرة القرضاوي وأبرز الرجال الذين أثروا في تكوينه العلمي، ومجالات اختصاصه، وقد سلط الضوء على نبوغ القرضاوي في مجال السنّة وخلص إلى أن للقرضاوي بصماته الخاصة في خدمة علوم السنة وإضافته التي لا يمكن إغفالها في هذا العصر.

"وكتاب العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً" (٢٠٠٤) "لزكريا عبد المجيد النوتي"، هدف إلى التعرف على نتاجه الأدبي الشعري خاصة، وأبرز عناصره الفنية وأهم ما تميز به شعر القرضاوي من الموسيقا الداخلية، وألفاظ عصرية ولغة سهلة متناولاً المجالات التي كتب فيها القرضاوي الشعر بالبحث والتفصيل وخلص الباحث إلى أن القرضاوي شاعرٌ أصيلٌ يعالج قضايا الأمة ومشكلاتها، ومعجمه الشعري زاخر بألفاظ إسلامية بحيث تميز شعره بطول النفس، وجمال التصوير، وغمق التجربة، وحرارة العاطفة.

وقد أفادت الباحثة من هذه الكتب في سيرة القرضاوي إلا أنها لم تعط في مجملها أي بعدٍ لتربية المرأة.

ومن المؤلفات التي كتبت حول المرأة:

"كتاب "نساء مؤمنات" ليوسف القرضاوي" (١٩٩٠م) هدف إلى تقديم نماذج نسائية إيمانية حيث ترى فيها المرأة معاني الخير وفضائله مجسمة في بشر يمشون على الأرض لتتخذ من حياتهم منارات إرشاد وأسوة حسنة، وقد استعرض المؤلف بعضاً من نماذج الرعيل الأول من الميدان النسائي كخديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء ونسيبة بنت كعب، وخلص المؤلف إلى أن الميدان

النسائي قد غزاه شياطين الإنس؛ فأفسدوا على المرأة تفكيرها ووجدانها وسلوكها، فباتت أحوج ما تكون لأن تعود لأصالتها، وتعتز بشخصيتها الإسلامية وترفض التقليد الأعمى، وأن على الدعاة والمربين أن يوجهوا اهتمامهم إلى ميدان المرأة مستعينين بكل الوسائل والأساليب الكفيلة لمواجهة وسائل الهدّامين ووسائلهم.

وإن التقى هذا الكتاب مع دراسة الباحثة كواحد من معينات التربية الإيمانية إلا أنه لم يتطرق لمعالم التربية الإيمانية والاجتماعية.

"كتاب "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" لمحمد الغزالي" (١٩٩٠م) هدف إلى الوقوف على قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة مبيناً أن الإسلام متهم بإهانة المرأة واستضعافها وأن مصاب الإسلام في المتحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها، وفي كل عصر توجد نسوة نوابغ متقدمات قارئات فقيهات يستطعن جعل بيوتهن مساجد عامرة بالخير، وتوصل الغزالي إلى ضرورة تجديد الفهم للإسلام لنحسن صورة المرأة المسلمة ولنعيدها إلى دورها الغائب.

وإن هذه الدراسة التقت مع دراسة الباحثة في ضرورة تجديد الفهم للإسلام لنحسن صورة المرأة المسلمة ولا بد من عودة المرأة المسلمة إلى دورها الغائب، إلاّ أنها لم تتطرق إلى الأبعاد التربوية المتضمنة عليها الدراسة حول تربية المرأة.

"وكتاب مركز المرأة في الحياة الإسلامية ليوسف القرضاوي" (١٩٩٦م) هدف إلى إبراز مركز المرأة في الحياة الإسلامية وأن الإسلام كرّم المرأة بنتاً وأماً وزوجة ولم يميز بين الرجل والمرأة إلا في بعض الأحكام لحكمة يعلمها اللطيف الخبير، وبيّن مخاطر الاختلاط المفتوح وانهماك المرأة في الاشتغال بعمل الرجال، وأوضح الحالات التي يجوز للمرأة أن تعمل فيها، وخلص

مناهجنا وبرامجنا التعليمية والتربوية، وأن ندعم البحث العلمي، والإنفاق عليه، والتطور والتجدد في حياتنا العامة حتى نستقيم وننسجم مع قيمنا ومبادئنا.

وأهم ما تضيفه هذه الدراسة أنها ركزت على التربية الثقافية للمرأة المسلمة وكيفية إعداد المرأة ثقافياً لأن تكون زوجة وأماً إلا أنها لم تتعرض للجوانب التربوية الأخرى.

وكتاب "مسلمة الغد" ليوسف القرضاوس (٢٠٠٥م) هدف إلى تقديم أبرز ملامح وسمات مسلمة الغد، وأهم وظائفها المرتقبة مبيناً أن المرأة ترضخ لسطوة التقاليد الراكدة تارة ولسطوة التقاليد الوافدة تارةً أخرى، وخلص المؤلف إلى أن مسلمة الغد عليها أن تكون عارفة بدينها وحياتها مؤدية لواجباتها نحو ربها وزوجها وأسرتها ومجتمعها وأمتها الإسلامية وهي الرائدة للنهضة الإسلامية في الغد القريب، ولها القدرة على غربلة ما يدخل إليها من الخارج بنصاعة فكرها وصفاء عقيدتها، فهي تتخير وتنتقي وتقول هذا لا يصلح، وهذا لا بأس به.

وإن كان هذا الكتاب قد التقى مع دراسة الباحثة في أبرز ملامح وسمات مسلمة الغد إلا أنه لم يتعرض للتربية الإيمانية ولا للقضايا المثارة على الساحة الاجتماعية للمسلمة المعاصرة.

وكتاب عائض القرني "أسعد امرأة في العالم" (٢٠٠٥م) هدف إلى تقديم فرش إيماني، ونفسي للمرأة؛ لتكسر طوق اليأس والألم والقلق الذي يحاصر امرأة العصر، ويقدم نصائح نفسية منتقلاً من مدرسة الإيمان تارة ومن صفاء خواطره وتجاربه في الدعوة والتأليف والتدريس تارة أخرى، وتوصل المؤلف في نهاية المطاف إلى أن الحزن والقلق يدمر أركان الصحة النفسية، ويقتل روح الإيجابية والعمل، ولا بد للمرأة أن تتسلح بالإيمان والأمل وحسن الظن بالله؛ لتسهم في بناء البيوت السعيدة لتجاوز حيثيات الزمان والمكان بالتوافق والتحقق المنشود. من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

وقد التقت دراسة الباحثة مع هذا الكتاب في أن الإسلام يرفض الموقف السلبي الانسحابي الذي يعني الانكسار والاستسلام لضغوط الواقع فلا بد من الاتكاء على الركن الشديد، التربية الإيمانية "وتلك التي ينبثق منها المرأة الصالحة التي تقوم بالوظيفة الاجتماعية المنشودة للمرأة المسلمة.

وإن كان هذا الكتاب لا يتطرق إلى التربية بصورتها المباشرة إلا أنه يعطي إضاءات وأبعاد تربوية بقالب أدبي.

"وكتاب "رسالة مفتوحة إلى الفتاة المسلمة في عصر العولمة" (٢٠٠٥م) لماجد عرسان الكيلاني" هدف إلى التعريف بنماذج للمرأة المعاصرة وتطبيقاتها في الواقع المعيش وهي: نموذج المرأة القوية الفاضلة، ونموذج المرأة القوية غير الفاضلة، ونموذج المرأة الفاضلة الضعيفة، ونموذج المرأة المستضعفة غير الفاضلة، واستعرض آثار "ثقافة السوء والعري" في المجتمعات، وخلص إلى أهمية الدور المقترح للمسلمة المعاصرة في مواجهة الهجمة الكاسحة التي تشنها العولمة؛ لتحويل المرأة في العالم كله إلى سلعة تسويقية وترفيهية.

وإن التقت هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في أخطار وتحديات العولمة التي تواجه المرأة المسلمة إلا أنها لم تعطِ البعد التربوي حقه.

وعليه تتميز هذه الدراسة بجمعها بين البعد التربوي والبعد الإسلامي في محاولة للمساهمة في بناء نظرية تربوية لتربية المرأة تأخذ بعين الاعتبار ثوابت الدين ومتغيرات العصر.

الفصل الأول: سيرة القرضاوي

المبحث الأول: حياته الشخصية.

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته

المطلب الثاني: صفاته الخلقية

المطلب الثالث: طلبه للعلم

المطلب الرابع: إنتاجه العلمي وعطاؤه الفكري والدعوي

المبحث الثاني: المصادر التي كونت معرفته التربوية

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: السنة النبوية الشريفة

المطلب الثالث: دراسته الأزهرية

المطلب الرابع: تجربته العملية في الدَّعوة

المطلب الخامس: التأثر ببعض العلماء

المبحث الأول: حياته الشخصية

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته

المطلب الثاني: صفاته الخلقية

المطلب الثالث: طلبه للعلم

المطلب الرابع: إنتاجه العلمي وعطاؤه الفكري والدعوي

المبحث الأول: حياته الشخصية

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته.

ولـد الـشيخ الفقـيه الدكـتور يوسف بن عبد الله القرَضاوي[1] في التاسع من شهر أيلول "سبتمبر" عام ١٩٢٦ للميلاد في قرية "صفط تراب"[2] التابعة لمحافظة الغربية[3]، ومما لا جدل فيه أن البـناء الفكـري للعالِم ومكونات شخصيته العلمية لا يمكن سلخها عن الجذور الدينية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية...، للبيئة التي نشأ بها، فلربما أسهمت في رسم الخطوط العريضة لمعالم شخصية المستقبل بالإيجاب أو السلب.

ولـد القرضاوي ونشأ في أسرة متدينة، تعمل في الزراعة، وقد توفي والده وهو في الثانية مـن عمره، فكفله عمه الذي كان أبا له -بعد وفاة الأب- ولما كان وحيد أمه فقد حظي بمحبة سائر أقاربه، فنشأ في جو الحنان والرعاية[4]، وكأن هذا تعويض رباني له عن يتمه المبكر، وفقدان دفء الإخوة والأخوات، فاتسعت دائرة العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية خاصة.

---

(١) القرضـاوي: بفـتح الراء، وليس بتسكينها كما يلفظها أهل الشام، وكما ضبطها القرضاوي بخط قلمه (يُنظر) القرضاوي، يوسف، ابن القرية، والكتاب ملامح سيرة ومسيرة، القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠١.

(٢) إحدى قرى مصر تبعد حوالي ٢١ كيلو متر عن طنطا، وفيها توفي الصحابي عبد الله بن الحارث، (يُنظر): ابن الأثير، أبو الحسن علي، أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة – دار الشعب (د-ت) ج٣ـ ص١٣٧.

(٣) تليمة، عصام، يوسف القرضاوي، فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠١م، ص١٢.

(٤) الندوي، أكرم، كفاية الراوي عن العلامة يوسف القرضاوي، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٦.

أمـــا عـــن الجانب الديني في نشأته فيقول: "الدين في قرى مصر بصورة عامة هو المؤثر الأول فـــي حياة الناس، فهم معجونون في الدين، فأهم مؤسسة هي (المسجد)، وأهم شخصية مؤثرة هي (عالم الدين)"[1]. وفي ذلك إيماءتان تربويتان:

أولاهما: الدور التربوي الحضاري لرسالة المسجد فإننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر لرسالة المسجد المغيبة لتحتل الصدارة في سلّم أولوياتنا كوسيط تربوي مؤثر.

وعليه لا بد من تفعيل خطبة الجمعة – من القليل المتبقي لنا من رسالة المسجد – باعتبارها فرصـــة إعلامية وتربوية وتعليمية بناء على برنامج مرسوم يتفق عليه الخطباء في كل بلد لتحقيق المطلوب، وتوظيف الفرصة بأعلى درجاتها الممكنة.

:"وتمـــتلك خطـــبة الجمعة عناصر قوة رائدة من حيث: الزمن الدوري والإنصات، والحث علـــى الـــذهاب إلـــيها، وامتدادها لتصل إلى الفئات والمستويات المختلفة. فلا بد من توسيع الفضاء باتجاه رسالة المسجد لنقلها إلى قلب العصر وتحدياته ومعطياته"[2].

وهذه العناصر مجتمعة تعد رافداً إيجابياً لمتطلبات البناء العقدي والتربوي والحضاري.

وثانيتهما: أهمية عالم الدين للمجال الدعوي والتربوي، والذي تحتاج إليه مجتمعاتنا أكثر من قبل ليقوم بمهمة ترشيد الصحوة الإسلامية وتربية الأجيال.

وحيث نلحظ في واقعنا المعيش بعض الشباب اعتمدوا الكتب، لفقدانهم الثقة بعالِم الدين، وإذا تخلفـــت القـــدوة في العمل الدعوي والتربوي فإن التأثير يضعف وقد يكون سبباً في اهتزاز بعض

---

(1) القرضاوي: ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة، ص ٢٠.

(2) محاضرة شفهية، د. عماد الدين خليل، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥/٣/١م.

القناعات الإيجابية[1]. فعامة الناس لا يفصلون بين الإسلام والمسلمين – لأن التأسي بالأفعال بالنسبة إلى من يعظم من الناس سر مبثوث في طباع البشر سيما إذا صادف محبة وميلاً إلى المتأسي به[2] وتأتـــي أهمـــية الــسيرة الحــسنة للقدوة لأنها: تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي[3]، وقد أكدت الدراسات النفسية أن الناس لديهم رغبة نفسية في التشبه والاقتداء بالأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم لسيرتهم الحسنة[4].

فها هو ذا القرضاوي ينطلق إلى الدور الذي اختاره الله له من المسجد والكتاتيب ويؤكد ذلك بخـــط قلمـــه إذ يقول: "ولإحد الكتاتيب التحقت وأنا في الخامسة من عمري، فحفظت القرآن وكان عمـــري تـــسع سنوات وبضعة أشهر، وكنت أصغر طالب حفظ القرآن في القرية، ومن ذلك اليوم شيّخني الناس وأسموني الشيخ يوسف[5]".

وفي ذلك إيماءتان تربويتان:

أولهمـــا: أنّ حفـــظ القرآن الكريم أساس انطلاق الملكات، وقد أكدت الدراسات أن الارتباط بكتاب الله تعالى تلاوة وحفظاً وتفسيراً هو من أقوى الأسباب في تكوين القدرات العقلية والأخلاقية، وهـــو يمـــد المتعلم بذخيرة لغوية، بل وله أثره السلوكي وثمرته العلمية، وقد أثبتت الدراسات التي

---

(1) الزهراني، مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، السعودية – دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م، ص٢١٨.
(2) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة. بيروت – دار المعرفة، ج٤، (د.ت)، ص٢٤٨.
(3) باد حدح، علي عمر، مقومات الداعية الناجح. جدة – دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٨.
(4) ســـلامة، أحمد عبد العزيز، عبد الغفار، عبد السلام، علم النفس الاجتماعي. دار النهضة العربي، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٠٠.
(5) القرضاوي: ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة، ص ١٢٦.

أجـــرتها إدارة التعليم في السعودية على الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم، إن ٩٠% من هؤلاء مميزون في جميع دروسهم بما فيها الرياضيات والعلوم والجغرافيا[١].

وهنا نطرح السؤال الأهم أيّ يحتل الصدارة في سلم الأولويات إجادة التلاوة؟ أم الحفظ؟ أم التفسير؟ ولكل واحد من أهل التخصصات الثلاثة منطلقاته ومبرراته.

والـــذي أرى –والله أعلـــم- أن يُـــبدأ بحفظ القرآن مجوداً، وقد يتقن الناشئ التلاوة بالتلقي والمـــشافهة من غير معرفة الأحكام ثم يتبعه برنامج رديف آخر للتفسير حيث يكون الناشيء أنضج عقلاً، وأعمق فهماً.

وثانيتهما: ما قاله القرضاوي (شيّخني الناس وأسموني الشيخ يوسف).

وفـــي ذلـــك إيماءة ألا وهي: الحذر مما نسقط من ألفاظ على مسمع الأبناء وسيما وأنها قد تختزن في اللاشعور فتؤثر بالسلب أو الإيجاب.

---

[١] الزهراني: مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، ص ٣٤٩.

المطلب الثاني: صفاته الخلقية

يعـــد القرضاوي من الصفوة التي تحتل السقف الأعلى للأمة المسلمة في هذا العصر، ومن أبـــرز صفات هذا العالم وأخلاقه الإيمانية: الهمة العالية، يقول القرضاوي: "اتخذت شعاري الحكمة القائلـــة: "لا تسأل الله أن يخفف حملك ولكن أسأله أن يقوي ظهرك"[1]. وسلامة الصدر من الأحقاد والغـــل يقـــول: "أنا أحب الخير لكل الناس، لا أحمل عداوة ولا حقداً شخصياً لأحد إنما أعادي من يعادي أمتي ويحارب عقيدتي"[2]، ويحب المرح والضحك ويقول: إن التدين لا يعني العبوس والتجهم والحزن الدائم[3]. وكذلك معرفة أقدار الرجال، وليس أدل على ذلك من إفراد مؤلفات خاصة لبعض الأعلام والشخصيات الإسلامية مثل (الندوى، وحسن البنّا..)[4].

ومن صفاته أيضاً عدم اليأس، والأمل، والشاهد على ذلك الكثير من خطبه وكتبه التي تكسر طـــوق الألـــم للخروج إلى دائرة الأمل فكتابه "المبشرات بانتصار الإسلام"[5] ينطلق فيه من الأمل والثقة بنصرة الله.

ومـــن صـــفاته أيـــضاً تدفق العاطفة وغزارة الإحساس فهو الأديب الشاعر صاحب ديوان "نفحات ولفحات".

---

[1] القرضاوي: ابن القرية والكتاب، ص ٢٧.

[2] المرجع السابق، ص ٢٧.

[3] تليمة، يوسف القرضاوي: فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، ص٣٨.

[4] ينظر: ملحق رقم (١)، إنجازة العلمي تحت عنوان (شخصيات إسلامية).

[5] ينظر: القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٩.

ومــن صــفاته أيــضاً الوفاء يقول: "اذكر أقاربي جميعاً الذين أعطوني من حبهم بعد يتمي المبكــر" ويذكر شيوخه وأقرانه وقد أفرد مؤلفاً للشيخ محمد الغزالي بعد وفاته وهذا ما سنأتي على ذكره.

ومــن صفاته أيضاً رجوعه إلى الحق فهو رجّاع إلى الحق إذا اكتشف ضعف رأيه أو وجد دلــيلاً أقوى مما استشهد به، تراجع دون كبر واستعلاء وكمثال على ذلك: فتواه (إسلام المرأة قبل زوجهــا) وهــي قضية تكون في بلاد الغرب فكان رأيه تبقى على ذمة زوجها ولكنه غيّر رأيه بعد ربع قرن وقال التفريق بينهما[1].

---

[1] ينظر تليمه، يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، ص٢٠.

المطلب الثالث: طلبه للعلم

بعد أن أتم القرضاوي حفظ القرآن ظل خمس سنوات تقريباً لا يعمل شيئاً لظروف خارجة عن إرادته، وبعدها التحق بالمعهد الديني في طنطا، وحصل فيه على الابتدائية، ثم انتقل إلى المرحلة الثانوية، وكانت خمس سنوات، وبينما هو في هذه المرحلة اعتقل لمدة عشرة أشهر، وقد ترتب على هذا الاعتقال أنه لم يدرك اختبارات الدور الأول، ثم أفرج عنه وأدى اختبارات الدور الثاني وكان ترتيبه (الثاني) على مستوى القطر بفارق نصف درجة بينه وبين الأول[١].

ويواصل القرضاوي مسيرة العلم بهمة عالية وتميز وتفوق، ويرحل إلى القاهرة، ليلتحق بكلية أصول الدين في الأزهر ويحصل فيها على الشهادة العالية سنة ١٩٥٣، وكان ترتيبه الأول، ثم التحق بالدراسة في كلية اللغة العربية فحصل على إجازة التدريس محققاً المركز الأول على خمسمئة طالب من كليات الأزهر، وبعدها حصل على دبلوم عالٍ في شعبة اللغة والآداب، من معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٥٧[٢].

ثم حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٣ من قسم الدراسات العليا في شعبة علوم القرآن والسنة بكلية أصول الدين تحت عنوان: "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية" وهو كتابه المتداول المعروف "بفقه الزكاة" ويقع في جزأين، والتأخير في الحصول عل الدكتوراه عائد لأسباب سياسية[٣].

---

[١] النوتي، زكريا، العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٣.

[٢] المرجع السابق، ص ٢٤.

[٣] المرجع السابق، ص ٢٥.

المطلب الرابع: إنتاجه العلمي وعطاؤه الفكري والدعوي

للقرضاوي نتاج علمي ضخم، وهو على ضخامته لا تجد فيه مؤلفاً أو رسالة إلا ويسد ثغرة ويجد له مكاناً شاغراً في المكتبة الإسلامية. ومن خلال استقراء كتب القرضاوي ومؤلفاته يمكن أن نجمل أهم ما يميز الكتابة العلمية عند القرضاوي:

الجمع بين الأصالة والمعاصرة فمؤلفاته تجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، والجدة في انتقاء الموضوعات والتمييز في العرض والأسلوب، والجمع بين "العاطفة والعقل وبين الذوق العلمي والذوق الوجداني"، والصياغة العلمية، فهو الفقيه الأديب الذي يقدم القالب العلمي بأسلوب أدبي، ولغة سهلة قوية ليكسر طوق الرتابة والتكرار، فبصمته اللغوية تلازم كتاباته دوماً.

وقد ألف القرضاوي في مناحي عديدة، ومجالات كثيرة منها العقائد الإسلامية، وعلوم القرآن والسنة، وفقه السلوك في ضوء القرآن والسنة، والدعوة والتربية، وترشيد الصحوة، وفي الفقه وأصوله، وله سلسلة حتمية الحل الإسلامي وإسلاميات المعرفة، وشخصيات إسلامية، وفي الأدب والشعر، وخطب ومحاضرات في مجالات متنوعة[1].

إن الثمار الفكري والنتاج العلمي للقرضاوي لم يتوقف عند المؤلفات السالف ذكرها، والتي ترجم منها إلى العديد من اللغات، وإن كانت هذه المؤلفات محور عطاء القرضاوي، إلا أن للقرضاوي بصمات أخرى تصب في معين "مصلحة الدعوة".

---

[1] ينظر: ملحق رقم ١ قائمة بعناوين كتب، ومحاضرات، ومقالات للقرضاوي.

فعلى ثغرة الجهاد التربوي التعليمي هناك أعداد كبيرة من مواكب الطلبة تتلمذوا على يديه، وقد تبوأ الكثير منهم مقاعد الأستاذية والعطاء[١].

وعلـــى ثغرة الجهاد الدعوى الجمهوري عرفته ساحات المساجد ومنابرها، وأجهزة الإعلام على تنوعها[٢]. فلم يكتف القرضاوي بهذا الحد، فنظراً لمكانته العلمية؛ عرفته الكثير من المؤسسات العلمية والدعوية في البلاد العربية والإسلامية.

وأصبح عضوا في عدة مجامع ومؤسسات منها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بـــالأردن، والمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي ورئيساً لهيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية[٣].

وكـــان مؤسساً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة قطر - حيث أُعير القرضاوي إلى دولة قطر عام ١٩٦١ - وما زال في قطر إلى الآن. كمـــا أصـــبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والـــسيرة النـــبوية، بالإضـــافة إلى عمله عميداً لها، أما الهيئات التي أسسها فمنها: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية لرعاية ودعم المسلمين في العالم[٤].

والقرضـــاوي - أمـــد الله فـــي عمره - لا يزال كتاباً مفتوح الصفحات إذ يقول: إنّ هناك مشروعين أريد أن يخرجا للنور قبل أن ألقى الله:

---

[١] عمـــارة، محمـــد، الدكتور يوسف ا لقرضاوي المدرسة الفكرية والمشروع الفكري، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧، ص ١٦.

[٢] المرجع السابق، ص ١٦.

[٣] حـــسن، عـــبد الحمـــيد، مشروع ببلوجرافية يوسف القرضاوي، عالم الكتب، دار ثقيف للنشر والتوزيع، المجلد الخامس والعشرون، العدد الخامس والسادس (مزدوج)، ص ٥٣٩.

[٤] التوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص ٥٥.

الأول: مشروع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. (وقد تم تأسيسه ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ وهو يرأسه).

والآخر: مشروع رعاية الموهوبين من أبناء الأمة[١].

أما عن الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام ١٤١١هـ.
- جائزة الملك فيصل العالمية[٢] بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام ١٤١٣هـ.
- جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام ١٩٩٦.
- جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام ١٩٩٧.
- جائزة (عويس) للعطاء العلمي والثقافي لعام ١٩٩٩.
- جائزة (الشخصية الإسلامية) لعام ٢٠٠٠[٣].

---

(١) تليمة: يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، ص ٣٠.

(٢) كانت بالاشتراك مع الشيخ سيد سابق رحمه الله.

(٣) تليمة: يوسف القرضاوي، فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، ص ١٦.

المبحث الثاني

أبرز المصادر التي كونت معرفته التربوية

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- دراسته الأزهرية.
- تجربته العملية في الدعوة.
- التأثر ببعض العلماء.

تمهيد:

إن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة هما المصدران اللذان كونا معرفة القرضاوي التربوية، وشغلا مساحة واسعة في بناء آرائه حول تربية المرأة، وغيرها من القضايا، وكان فكر القرضاوي انعكاساً لفهمه لهذين المصدرين.

إلا أن هناك مصادر أخرى لا يمكن التجاوز عن أهميتها في تكوين شخصية القرضاوي العلمية وبناء آرائه التربوية من أبرزها: دراسته الأزهرية، وتجربته الدعوية، وتأثره ببعض العلماء، وهذه المصادر مجتمعة هي ما سيتمّ تناوله في هذا المبحث بيد أن هناك مصادر أخرى، أسهمت أيضاً في السالف ذكره إلا أن الباحثة عدتها مصادر ثانوية.

المبحث الثاني

المصادر التي كونت معرفته التربوية

المطلب الأول: القرآن الكريم

إن النبع الصافي الذي استقى منه القرضاوي، والمصدر الأول الذي كوَّن شخصيته العلمية هو القرآن الكريم وتتصدر آيات القرآن الكريم كل قضايا ومفردات بل وصفحات المشروع الفكري للقرضاوي مواطن الاستدلال والاستشهاد، الأمر الذي يجعل للقرآن مكانة المرجعية المحورية في فكره.

إن ارتباط القرضاوي بكتاب الله عز وجل ارتباط وثيق وفي ذلك يقول: "فأنا ابن القرآن وربيبه منذ أتممت حفظه، وأنا دون العاشرة، وقد كان لي وقفات مع كثير من آياته في رمضان...."[١]. فقد حفظ القرآن صغيراً، وحرص على حسن فهمه ومداومة تلاوته كثيراً، فقد اشتملت كتبه ومصنفاته على مجموعة من المعلومات الجديدة، والبحوث المبتكرة فيما يتعلق بعلوم القرآن[٢]، وقد بين المنهاج الذي اختاره للتعامل مع القرآن الكريم، فيقول: "من يريد فهم القرآن فليقرأه على أنه كتاب الزمن كله، وكتاب الناس كلهم، وكتاب الحقيقة كلها"[٣].

ويعزو سوء التأويل للنص القرآني "إلى قصور في العلم والفكر، وفساد في النية والقصد، وقد يجتمع الأمران في طائفة أو شخص فيكون من وراء ذلك فساد كبير[٤].

---

[١] النووي: كفاية الراوي عن العلامة يوسف القرضاوي، ص٢٨.

[٢] يُنظر: ملحق رقم (١)، مؤلفات القرضاوي تحت عنوان علوم القرآن والسنة.

[٣] الندوي: كفاية الراوي عن العلامة يوسف القرضاوي، ص٢٠.

[٤] القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، بيروت – مؤسسة الرسالة. ط١ ٢٠٠٠م، ص٢٠٥.

ولا يغفل جانب الحفظ وأهميته فيركز عليه ويحث عليه: "إن حفظ القرآن بعضه، أو كله إذا تيسر أسباب ذلك يجعل الداعية قادراً على الاستشهاد والاستحضار للآيات القرآنية في كل مناسبة على أن لا يغفل دوام التلاوة مع التفهم والتدبر(١).

ويضع يده على معلم تربوي مهم حيث يؤكد ضرورة العناية بالنماذج القرآنية التي تصور لنا الشخصية الإنسانية في مختلف المجالات والصور...(٢).

وهنا إيمائة تربوية تكمن في ضرورة عناية المرأة المربية بالقصص القرآني سيما أنها التي تغرس في قلوب الأبناء جذور الإيمان والقيم الإيجابية، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة لذا؛ نجد القرآن يصور لنا النماذج الإنسانية بألوان مختلفة؛ فيصور لنا نقاء القلوب ورفعتها تارة، وظلم القلوب وانحدارها تارة أخرى لتصلح الأولى للقدوة والأخيرة للتنفير.

ومما لا جدل فيه أن القرضاوي كان للقرآن الكريم، أثره الأول في تكوين شخصية القرضاوي العلمية ومعرفته التربوية فمن الشواهد الدالة على ذلك: قول القرضاوي: "نحن نريد الإنسان المؤمن المنتج الصالح في نفسه، المصلح في غيره، الذي يعيش في الحياة لهدف ورسالة. نريد إنسان سورة العصر الذي لخص القرآن أوصافه وسماته بهذه الكلمات المعدودة(٣): "وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)" [العصر كاملة]

---

(١) القرضاوي، يوسف ثقافة الداعية، بيروت– مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٧٩م، ص١٠-١١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) القرضاوي: قضايا إسلامية على بساط البحث، ص٤٢.

المطلب الثاني: السنة النبوية

إن المصدر الثاني الذي استقى منه القرضاوي آراءه التربوية وكوّن شخصيته العلمية هو السنة المطهرة، فالسنة هي التفسير العملي للقرآن والتطبيق الواقعي المثالي أيضاً، فقد كان النبي ﷺ بقوله وفعله للقرآن مفسراً وللإسلام مجسداً، فكان اهتمام القرضاوي بالسنة الشريفة ينبثق من أهمية موقعها التنزيلي.

فقد دعا إلى فهمها في ضوء القرآن الكريم. ويرى أن الواجب أن نفهم السنة – بعد تحقيق صحة الرواية – في ضوء القرآن وفي دائرة توجيهاته الربانية[1].

ويؤكد القرضاوي إن في السنة المطهرة منهجاً تربوياً متوازناً وسطياً إذ يقول: "في السنة منهج تربوي متوازن يوازن بين الروح والجسد، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين المثال والواقع، بين الفرد والجماعة .. فهو منهج وسط لأمة وسط"[2].

والقرضاوي واسع الاطلاع، وعميق الفهم للسنة وعلومها، وخبير بالحديث ومصادره، وله مؤلفات متخصصة في هذا المجال[3]. وهو يرسم مبادئ أساسية لمن أراد أن يتعامل مع السنة فنجملها في: أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها، وأن يحسن فهم النص وفق دلالات اللغة، وأن

---

[1] القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، عمان – المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٣، ص٢٣.

[2] المرجع السابق، ص١٠٣.

[3] ينظر: ملحق رقم ١، علوم القرآن والسنة.

يتأكد من سلامة النص أو معارضة ما هو أقوى منه من القرآن الكريم، أو أحاديث أخرى أوفر عددا، أو أصح ثبوتاً[1].

ويؤكد في ثنايا مؤلفاته بما يصعب حصره بكلمات قليلة على ضرورة أن تكون سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة متجددة على مدى الأجيال، وفي ذلك إيماءة تربوية حيث تعد التربية بالقدوة من أفضل الوسائل التربوية وأنجعها، قال تعالى "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (الأحزاب:٢١) فيقول: "إن السيرة النبوية العاطرة يجد فيها كل مسلم أسوته المثلى، ومثله الأعلى ولا يوجد عند اليهود ولا النصارى – ولا حتى عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى – مثل هذه السيرة النابضة الحية، الشاملة لكل مراحل الحياة، وكل جوانب الحياة: في المأكل والمشرب، في الملبس والزينة، في الجد والضحك، في الدين والدنيا، في التعامل مع الأقارب والأباعد، حتى النواحي الشخصية التي يسميها الناس "خاصة" في معاشرة الزوجات، كلها مروية محفوظة في هذه السيرة الكاملة"[2]. ويؤكد محمد قطب: من السهل تأليف كتاب أو تخطيط منهج في التربية، ولكن يظل حبراً على ورق ما لم يتحول إلى أفعال بشر يترجمون سلوكه وتصرفاته، ومشاعره وأفكاره، ومبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة يتحول إلى حركة، إلى تاريخ[3].

---

[1] القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص٣٤.

[2] القرضاوي، يوسف، الحياة الربانية والعلم، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م، ص٥٢-٥٣.

[3] قطب: منهج التربية الإسلامية، ص١٨٠.

ونلحظ أن من أبرز المعوقات الداخلية للتربية غياب النماذج العملية على أرض الواقع المعيش.

وقد كان من الرواد المعاصرين الذين أولوا "الوحدة الموضوعية للحديث النبوي الشريف" اهتماماً خاصاً فيقول: "فعلى الداعية أن يستحضر الأحاديث المتصلة بموضوعية من مظانها من دواوين السنة المختلفة، وبخاصة ما كان منها مرتباً على الأبواب، مثل كتب الستة، والموطأ، وسنن البيهقي ....، مع الحذر من الأحاديث الموضوعة، وبعد الاستحضار تبدأ عملية التصنيف والترتيب، وهذه تحتاج إلى وعي وحسن إدراك، فليس المطلوب هو مجرد سرد الأحاديث الواردة في الموضوعات تباعاً، وإنما المطلوب والاستشهاد بها على كل عنصر من عناصر الموضوع ما أمكن"[1].

أما في المجال التربوي فقد كانت له رؤيته الخاصة في استنباط الدروس التربوية من السنة المطهرة فيقول: "لقد درست موضوع العلم والتعليم في ضوء السنة المطهرة من خلال الأحاديث الصحاح والحسان الواردة منه، ورأيت كيف عني الرسول (الأمي) ﷺ بالعلم، وكيف كان للسنة السبق لوضع أفضل القواعد التربوية"[2].

---

[1] القرضاوي: ثقافة الداعية، ص٥٩.

[2] القرضاوي: يوسف، السنة مصدر للمعرفة والحضارة، القاهرة – دار الشروق – ط١٠، ١٩٩٧، ص١٣٤.

"ومن هذه القواعد التربوية: التعلم وآدابه وما يجب على المسلم تعلمه، وتصحيح النية في طلب العلم، وإثارة الانتباه بالسؤال والحوار، والتدرج في التعلم...، وتحت كل عنوان من هذه العناوين: توجيهات نبوية، وإيقاظات تربوية، تتمثل في أحاديث قولية، وسنن عملية وتقريرية تلقي شعاعاً من نور على المواقف النبوية من التربية"[1].

---

[1] القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م، ص١٥٤.

المطلب الثالث: دراسته الأزهرية

وبعد أن حفظ القرضاوي القرآن الكريم في الكتاتيب شق طريقه ليكمل دراسته في الأزهر، وعناية الأزهريين بالقرآن الكريم: حفظاً وتجويداً وتفسيراً واستنباطاً للأحكام الشرعية، وتذوقاً لبلاغته خاصة معروف، ولذلك كان القرآن الكريم بالنسبة للقرضاوي الأزهري القاعدة والأساس لثقافته وعلمه، فقد حفظه في الصغر وكان ينبوعاً لثقافته كلها وقد تلقى القرضاوي من مختلف صنوف العلوم في الأزهر والتي كان لها صدى واسعاً في تكوين شخصيته العلمية، فمن هذه العلوم: علم التوحيد، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة، وتاريخ الأدب العربي، وعلم القراءة، وعلم المحفوظات، وعلم المنطق والعلوم الحديثة[١]، والتاريخ[٢].

ويؤكد القرضاوي أن هذه العلوم قد أثرت في ثقافته وساهمت في تكوين معرفته التربوية: دليل ذلك قوله: وبعد أن التحقت بكلية أصول الدين كان يعجبني أنها كلية الثقافة الإسلامية الواسعة والمتنوعة تدرّس العلوم العقلية والنقلية وتدرّس المنطق وعلم النفس، ونظريات الأخلاق وغيره ... فأنا لا أعدل بها بديلاً[٣].

ورغم تأكيد القرضاوي على أن الأزهر جامعة الثقافة الواسعة إلا أن له شيئاً من التحفظ[٤]، ويؤخذ على هذه العلوم التي درسها في الأزهر إذ يقول: إن المناهج لم تعط عناية للأدب العربي، وعلم التوحيد كان يقتصر على مذكرات مختصرة، ومعقدة، تعتمد على علم الكلام الأشعري،

---

[١] العلـوم الحديـثة ويقـصد بها العلوم الكونية والفيزيا، والكيمياء، والأحياء، والنبات ...، وهذه العلوم حديثة عند الغرب أما عند المسلمين فهي علوم قديمة ومن روادها: الرازي، ابن رشد...

[٢] القرضاوي: ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة، ص٢٣٤.

[٣] المرجع السابق، ص٤٠٦.

[٤] يُنظر: القرضاوي، يوسف، رسالة الأزهر. لمزيد من الاطلاع.

ومقدماته العقلية المتأثرة بفلسفة اليونان، بخلاف طريقة القرآن التي تقوم على مقدمات فطرية تجمع بين إقناع العقل وتحريك العاطفة ومما تؤخذ عليها غياب اللغات غير العربية مع حاجة الطالب الأزهري لها[1].

ومن هذا نستخلص الإيماءات التربوية التالية:

١. إن علم التوحيد لا بد أن يقرب إلى الأذهان بأيسر السُبل لا أن يدخل في مأزق علم الكلام وبأسلوب يكتنفه الإبهام والغموض، وأن يعرض بصورة محببة مقنعة متتبعاً أسلوب القرآن الكريم، (وهذا ما سيأتي تفصيله بإذن الله تحت التربية الإيمانية من هذه الدراسة).

٢. إن العقم التعبيري، والقصور اللغوي الذي تعاني منه الأجيال، يمكن أن يكون مرده إلى إغفال الجانب الأدبي، وإن كان لا بد من الدخول إلى عالم الأدب فهل نكسر طوق الانغلاق لنفتح الباب على مصراعيه أم نتقوقع حول الذات أم هناك حلٌ معتدل يجمع إيجابيات الطرفين؟

ويرى عماد الدين خليل: "أن من أسباب الهبوط اللغوي، والتراجع في سلم الإبداع قلة إقبال المثقف المسلم على القراءات الأدبية بحقولها المختلفة، وثمة مخاوف من التعامل مع المعطيات الأدبية عامة، والغربية خاصة، من العدوى التي قد ينقلها العمل الأدبي – غير المنتقى – فيصيب بها قوماً أصحاء، فلا بد من التحصن بعوامل الصحة والعافية، والوضوح العقائدي"[2].

---

[1] القرضاوي: ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة، ص١٨٦.

[2] خليل، عماد الدين، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٨م، ص٧٥-٧٧.

ويؤكد القرضاوي على أهمية الأدب فيقول: "والأدب شعره ونثره، وأمثاله وحكمه، ووصاياه وخطبه، مهم للداعية، يثقف به لسانه، ويجود أسلوبه، ويرهف إحساسه"[١].

٣: لا بد لنا من تعلم اللغات الأجنبية لأسباب عدة يمكن أن نجملها: لغربلة ما يدخل إلينا ولمعرفة الغث من الثمين، ولننقل إلى الأخر الصورة المشرقة لعظمة ديننا، ولحمايته من "المغرضين" أصحاب الإرادات المشوهة، وللاستفادة وللاستزادة في المجالات العلمية التي كان للأخر السبق إليها، ولضمان السلامة من الوقوع تحت سطوة زنزانة التخصص[٢].

ويؤكد القرضاوي على أهمية ذلك فيقول: "إن تعلم لغات الآخرين عند الحاجة إليها من التعاليم المهمة لإيجاد مناخ علمي، وخصوصاً إذا كان عندهم علم يؤخذ، أو حكمة تقتبس، ولم يمنع الإسلام من تعلم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته العالمية"[٣].

قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" الأنبياء: ١٠٧.

---

[١] القرضاوي: ثقافة الداعية، ص١١٥.

[٢] زنزانة التخصص: نقصد بها التركيز أولاً وآخراً على التخصص الأكاديمي وعدم توسيع دائرة الثقافة في المجالات الأخرى. فيقع الأكاديمي تحت سطوة أحادية التفكير "العور الفكري"، فلا ينظر إلا من زاوية تخصصه.

[٣] القرضاوي: السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، ١٨٣.

المطلب الرابع: تجربته الدعوية

إن الدعوة إلى سبيل الله، وإصلاح المجتمعات الإسلامية، وتطهيرها من الجاهلية القديمة والحديثة، هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه القرضاوي.

وقد انهمك القرضاوي في العمل الدعوي منذ نشأته الباكرة. دلّ على ذلك قوله: "أول درس ديني ألقيته – وأنا طالب – في المسجد وهو درس مرتجل واستشهدت بالآيات والأحاديث وقد كان أثر هذا الدرس طيباً وأصبح كلما تأخر الشيخ عن الدرس قدمني أهل المسجد لأحل محله)[١].

وقد عرفته وسائط التربية الإسلامية من خلال منابرها المختلفة: يقول مصطفى الزرقا[٢]: "القرضاوي حجة العصر، وهو من نعم الله على المسلمين"[٣].

ويقول محمد رجب البيومي[٤]: "القرضاوي باحث دقيق، وداعية صبور"[٥].

وهنا إشارة ينبغي المرور عليها وهي اتصال القرضاوي بجماعة الإخوان المسلمين يقول: "عرفت الإخوان حينما كنت طالباً في الأزهر، وكان ذلك من خلال سماعي لخطبة الإمام حسن البنا تحدث فيها بلغة وفهم جديد عن الهجرة مغاير لما ألفت من الخطباء قبله، فكان اتصالي بالإخوان المسلمين نقلة نوعية من التدين الفردي إلى الوعي بالإسلام كمنبع شامل[٦].

---

[١] القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة، ص١٧٥.
[٢] فقيه وعالم سوري، وصاحب سلسلة (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد).
[٣] تليمة: يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء، ص٥٠.
[٤] مفكر إسلامي وعميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقاً، ورئيس تحرير مجلة الأزهر حالياً.
[٥] المرجع السابق، ص٥١.
[٦] القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ص١٠٠.

ارتكاز (محورية) مكتوبة ومنها ينطلق المتحدث"[١]. وأغلب الظن أن العامل النفسي له دور كبير في تكوين هذه المهارة فما علينا إلا أن نعد الأبناء منذ الطفولة الباكرة لكسر حاجز الخوف، والقلق، والخجل غير المبرر، وحتى نكشف الستار عن قدراتهم الإبداعية للعمل على تنميتها، ويؤكد محجوب على ضرورة التخلص من الخجل فيقول: "إن الخجل ظاهرة تحتاج إلى تغيير لأنه انكماش وسلبية وانطواء"[٢].

---

[١] محاضرة شفهية، د. عماد الدين، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م.

[٢] محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، عمان – مؤسسة علم القرآن، دمشق – دار ابن كثير، ط١، ١٩٨٧، ص٢٤٦..

المطلب الخامس: تأثره بعلماء مسلمين

كان لعلماء مسلمين أجلاء في مختلف أمصار العالم ومختلف الأعصار تأثير في تكوين شخصية القرضاوي العلمية وسأكتفي بما سطر قلم القرضاوي ومنهم:

ابن تيمية

تعرف القرضاوي على ابن تيمية من مؤلفاته فوجد في نفسه إقبالاً على هذا العالم الرباني ويقول: "الإمام ابن تيمية من أحب علماء الأمة إلى قلبي، وأقربهم إلى عقلي"[١].

بل إنه كان يستشهد بكثير من النقول عن الإمام ابن تيمية، ويؤكد تأثره بابن تيمية واتصاله بالمدرسة السلفية – المتجسدة بابن تيمية وصاحبه ابن القيم فيقول: اتصلت اتصالاً عميقاً بالإمامين المجددين: ابن تيمية وابن القيم، وقد أعجبت بالنظرة الشمولية التجديدية في هذه المدرسة ومقاومتها لما دخل الإسلام من تحريفات وانحرافات في الفكر والسلوك[٢].

ولكن حبه لابن تيمية لم يمنعه من مخالفته إذا اقتضى الدليل فيقول بصدد الحديث عن إنكار ابن تيمية المجاز في القرآن الكريم والحديث واللغة بصفة عامة: ولكني أخالفه هنا كما خالف هو الأئمة من قبل وكما علّمنا هو أن نفكر ولا نقلّد، وأن نتبع الدليل لا الأشخاص ...[٣].

---

[١] القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص١٧.

[٢] القرضاوي، يوسف، الحياة الربانية والعلم، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥، ص٣١.

[٣] القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص١٧٠-١٧١.

وفي ذلك إيماءة تتمثل في ضرورة التربية على التفكير الناقد ضمن معايير وضوابط شرعية: حيث أن التفكير الناقد شكل من أشكال التفكير العليا، والتفكير العالي مزيج من التفكير الإبداعي والناقد[1]. فعاطفة الحب والكره ينبغي أن لا تخرس صوت العقل أو تطفئ نور البصيرة.

الإمام حسن البنا

والقرضاوي شديد التأثر بحسن البنًا وقد كتب عنه الكثير وأفرد له أكثر من مؤلف[2]. وهو كثير الاقتباس من مؤلفاته وكثير الاستشهاد بأقواله يقول: "نشأت في رحاب دعوة كان مؤسسها حسن البنا – عليه رحمة الله – تدعو إلى الحب ويقول: سنقاتل الناس بالحب"[3]. بل يعتبره من رواد انبعاث اليقظة الإسلامية في هذا القرن ومن القادة الربانيين الذين أعدهم سبحانه وتعالى لإعادة شيء من التوهج إلى الوجه الحضاري المظلم بعد أن شوهته الإرادات الشاذة وعصور التبعية والعقم العقلي...، يقول: وكان القدر الأعلى يصنع رجلاً يُعده لمهمة عظيمة وكانت المهمة إيقاظ الأمة من رقود، وبعثها من جمود[4].

وفي ذلك إيماءة تربوية هي: أن النهوض بالهبوط الحضاري لا يمكن إلا من خلال إشعال فتيلة الإبداع تلك التي يتولى مهمتها النوابغ والمبدعون من الأمة، وإن سر الحضارة الناجحة –

---

[1] العتوم، عدنان، علم النفس المعرفي، عمان – دار المسيرة، ط1، ٢٠٠٤م، ص٢٣٢.

[2] يُنظر: إنجازه العلمي ملحق رقم ١ تحت عنوان (شخصيات علمية).

[3] الندوي: كفاية الرواية عن العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، ص٢٠.

[4] المرجع السابق، ص٢٧.

حسب ما يؤكده – ولسون: يكمن في الأقليات (المبدعة) أو (النوابغ) وقد تكون إنساناً واحداً، وتتألف الأقلية المبدعة من الأفراد الذين يستطيعون أن يواجهوا التحدي الذي يجابهه المجتمع[1].

أبو الحسن الندوي

تعرف القرضاوي على أبي الحسن الندوي عن طريق كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)[2] ومن ثم التقى به في مصر ومنذ ذلك الوقت توثقت صلته به إذ يقول: "ثم سعدت بلقائكم في مصر عام ١٩٥١، وأنا طالب بالأزهر، ورأيت فيكم نموذجاً للعالم الرباني[3].

واستمرت الصلة الروحية بين القرضاوي وأبي الحسن الندوي حتى وفاته، وقد أفرد له القرضاوي مؤلفاً خاصاً استعرض فيه مسيرة الندوي الدعويّة مسلطاً الضوء على المعالم الإيجابية للفقه الدعوي له.

ويقول: لقد سعدت بعضويتي (في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بإنكلترا) والذي يرأس الشيخ مجلس أمنائه منذ تأسيسه، فقد حظيت بلقائه بين الحين والحين، لأرّطب جفاف قلبي بفيض ربانيته، ودفق روحانيته، فقد كان سفير الشعب المسلم بالهند كلها لدى البلاد العربية، علمائها ودعاتها ومفكريها المسلمين، ومجامعها العلمية والدعوية الإسلامية ومؤسساتها الثقافية والدينية[4].

---

(١) ولسون، كولن، سقوط الحضارة، ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت – منشورات دار الآداب، ط٢، ١٩٧١م، ص١٥٠.

(٢) يُنظر: الندوي، أبو الحسن النووي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت – دار الكتاب العربي، ط٤ (د.ت) ويقول فيه أن انحطاط المسلمين وزوال دولتهم وانهيار دعامتها قام عليها نظام الدين والدنيا هو انحطاط للمجتمع البشري كافة، فلا بد من التحمس لرد القيادة العالمية للإسلام تارة أخرى.

(٣) القرضاوي: الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، ص١٤٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٦.

محمد الغزالي

وكانت بداية معرفة القرضاوي به من خلال كتبه ومقالاته: "أعترف أنني تتلمذت على يدي الغزالي، فأول ما عرفته، قارئاً لمقالاته ثم قارئاً لكتبه..."[١].

وبعدها تشاء إرادة مسير الأقدار حدوث اللقاء بين القرضاوي والغزالي في السجن: "وحينما خرجنا من المعتقل كنا على صلة دائمة بالشيخ الغزالي"[٢]. يؤكد القرضاوي إعجابه وتأثره بالغزالي فيقول: الغزالي يحمل روح الرافعي وتألقه، وسهولة المنفلوطي وتدفقه ... وتأمل العقاد وتعمقه، وانعقدت بيني وبينه صلة روحية وعقلية عميقة[٣]. ومما استوقفني ما نقله القرضاوي عن الغزالي – رحمه الله –: "والله لا يخدم هذا الإسلام إلا نفسٌ شاعرة"[٤].

وفي ذلك إيماءة تربوية: فالغزالي لم يكن شاعراً ولم يحسب في عداد الشعراء، ولكنه كان ذا نفس شاعرة، وقلب فيّاض، فلا بدّ للمربي والداعية أن يكون إنساناً ذا مشاعر لا كتلة جامدة، وصخرة جلمود، وعليه فإن أصحاب الدعوات الخالدة والكلمات الحية هم أصحاب إحساس مرهف وقلب متدفق بالمشاعر.

أما الإيماءة الأخرى فهي: إن وحدة المعاناة والألم التي جمعت بين القرضاوي والغزالي قد عمّقت العلاقة والصلة بينهما، وهنا نؤكد أن لا بد للقلوب أن تحطم الحواجز للمشاركة الوجدانية،

---

[١] القرضـــاوي، يوسف، الغزالي رجل الدعوة، العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، قاعة المركز الثقافي الإسلامي، مسجد الشهيد الملك عبد الله بن الحسين، ٢٠ حزيران – ١٩٩٦ المعهد العالي للفكر الإسلامي.

[٢] المرجع السابق، ص٢٠٠.

[٣] المرجع السابق، ص٢١٥.

[٤] القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته..، ص١١.

وسيما لحظات الألم، والضعف البشري، في عصر المادة حيث يبدو جلياً أن هناك تناسباً طردياً بين تقدم المادة وجمود روافد الإحساس السامية والتي نحتاج إليها أكثر من قبل.

وبعد هذا الاستعراض الموجز للعلماء الذين تأثر بهم القرضاوي نخلص إلى الإيماءات التربوية الآتية:

- "إن الكتاب هو المعلم الأول الذي يخرج لنا مبدعاً، ومفكراً، وداعياً، وأديباً، وتربوياً، وهو الذي يصنع لنا العناصر الإبداعية الفنية، ويخلص المجتمع من أنصاف الباحثين وأنصاف المفكرين والكلمة الأولى التي أضاءت بها الأرض من كتاب السماء "اقرأ"،"[١] فمن أراد الدنيا فليقرأ، ومن أراد الآخرة فليقرأ، ومن أرادهما معاً فليقرأ.

على أن يحتل الصدارة كتاب الله المسطور قراءة وتلاوة وتدبراً وخشوعاً ثم يُنطلق إلى الكتب الأخرى قراءة معمقة وهادفة وفق أصول القراءة السليمة.

فلا بد أن نعود إلى تقاليد عشق الكتاب سيما بعد أن اقتحمتنا الشاشة الصغيرة، وكادت أن تعطل دور الكتاب فإذا أضفنا إليها القراءة الأكاديمية التي لا تعنى بالكتاب إلا لاجتياز مرحلة أكاديمية فقط، زاد الأمر سوءاً.

ويقول علماء التربية: إن عدم ميل الأسرة إلى اقتناء الكتاب يكون من نتيجته؛ أن يضمر الجو الثقافي والفكري في البيت، والذي ينتهي بتأثير غير مناسب على النمو والمعرفة[٢]. وما لمسناه

---

[١] القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر.

[٢] محاضرة شفهية د. عماد الدين خليل، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م.

من سيرة القرضاوي والعلاقة الوثيقة بينه وبين الكتاب والتي كان من ثمارها معرفة (ابن تيمية، والندوي ...).

- الاعتراف بفضل الآخرين وإنزال الناس منازلهم، وأغلب الظن أن الانزياح عن هذه المسألة في مجال العطاء العلمي يقع تحت سطوته الكثير، فقد يحسب البعض أن العالم معين من السماء فيجد عضاضة في إنصاف الآخرين ولو بكلمة حق، ويحسب ذلك نصرة للدين، ولمصلحة الدعوة، ولربما يكون الأمر على النقيض من ذلك نصرة للنفس، وتفشياً لسرطان الأنا.

  فالقرضاوي يدين بالفضل لهذه الثلة من العلماء الذي أثروا فيه.

- إن تأثير الأقران والأتراب قد يفوق تأثير الوسائط التربوية الأخرى، وعلينا أن نحسن انتقاء من نصاحب وكما علينا أن نلحظ من يصاحب الأبناء ببصيرة نافذة، وحكمة بالغة قال تعالى: "وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)" (العصر كاملة) فرسالة الأسرة تجد لها نصيراً في الرفيق الورع التقي.

ويقول محجوب: "على الآباء أن يشجعوا أبناءهم على الصحبة الطيبة ويراقبوا ويوجهوا حجتهم من غير إشعارهم بذلك..."[١].

---

[١] محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص٢٩٦.

- إن هناك ما يمكن تسميته "قانون الابتلاء" أو "الألم الفعال"[1] الذي يمحّص الله من اختار من عباده لإمامة الدين "التمكين".

قال تعالى: "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" (آل عمران: ١٤٠)

ويؤكد القرضاوي ذلك فيقول: "إن النفوس الكبيرة تتخرج من مدرسة الآلام وتصنع القلوب العظيمة في مصهر الأحزان"[2].

ويأتي التمكين ثمرة للصبر على الألم والابتلاء والتحديات. وللأخر رأي يعزز ذلك: أن البشر يزدهرون في الظروف التي تتحداهم أشد تحد، وكلما اشتد التحدي زاد الدافع المحرض قوة، فإذا أرادت الحضارة أن تكون قوية روحياً وثقافياً فإنها بحاجة إلى محيط قاس[3].

وما الآلام والمحن التي تعرض لها القرضاوي من اعتقال وتعذيب وغربة إلا دليلٌ ساطع على ذلك.

---

[1] ولسون: سقوط الحضارة، ص٢٠٧.

[2] القرضاوي: نساء مؤمنات، ص٢٩.

[3] ولسون: سقوط الحضارة، ص١٥٠-١٥١.

مجالات تربية المرأة في فكر القرضاوي

الفصل الثانـي

التربية الإيمانية للمرأة

مجالات تربية المرأة في فكر القرضاوي

الفصل الثالث: التربية الإيمانية

مفهوم التربية الإيمانية

١) المطلب الأول : التوحيد

٢) المطلب الثاني : الإخلاص

٣) المطلب الثالث : الإيمان بالقدر

٤) المطلب الرابع: العبادة

٥) المطلب الخامس: الصبر.

٦) المطلب السادس: الرضا.

٧) المطلب السابع: الأمل والرجاء.

٨) المطلب الثامن: طرق (معينات) التربية الإيمانية عند القرضاوي.

٩) المطلب التاسع: أنماط التربية الإيمانية عند القرضاوي.

هناك عدة مفردات تربوية تتداخل وتتشابك فيما بينها، ولكن باحثي التربية الإسلامية يستخدمونها تحت مسمى واحد – في أغلب الأحيان – ومنها: التربية الإيمانية، التربية الروحية، التربية الدينية، التربية الإسلامية، التربية العقدية، .... ويمكننا القول أن القرضاوي قد استخدمها تحت مسمى واحد، وإن كانت هذه المسميات يجمعها قواسم مشتركة إلا أن هناك اختلافاً طفيفاً فيما بينها وليس هنا مجال للتفصيل والتوضيح.

وحيث تميز القرضاوي بغزارة العطاء فإن استقصاء جميع ما كتب أمر عسير عبر هذه الرسالة.

والتربية الإيمانية واسعة النطاق وكل مفردة منها تحتاج إلى أكثر من أطروحة، ولكنني سأتناول أبرز المعالم التي ركّز عليها القرضاوي ولمست له فيها رؤية تربوية، وأفرد لها مؤلفات متخصصة هذا من ناحية ورأيت فيها أنه أسس للتربية الإيمانية للمرأة من ناحية أخرى.

وقد تناولت في هذا المبحث التوحيد لأنه الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان ثم انتقلت إلى الإخلاص والذي يعد الثمرة الحقيقية للتوحيد، ومن ثم انتقلت إلى العبادة الثمرة العملية للتوحيد والإخلاص.

ثم تناولت: الإيمان بالقدر، والرضا، والأمل والرجاء، والصبر. فهذه المفاصل الإيمانية ثمة ما يتسرب إليها الخور من النساء – وحسب ظني – لغلبة العاطفة على تفكيرهنّ تارة وقصور الفهم لحقيقة هذا الدين تارة أخرى.

وبما أن الغرض من تقديم هذه المعالم الإيمانية مدارستها تربوياً فقد حاولت اقتناص المعينات والطرق التربوية من بطون مؤلفات القرضاوي المتخصصة بهذه الركائز السالف ذكرها عسى أن تجد فيها المرأة عوناً للرقي برتبة إيمانها.

وفي نهاية المطاف قدمت ثمار التربية الإيمانية كما يراها القرضاوي لأنها الهدف المنشود للتربية الإيمانية.

الفصل الثاني: مجالات تربية المرأة في فكر القرضاوي

أهمية تربية المرأة:

تأتي أهمية تربية المرأة في فكر القرضاوي من عدة مناحٍ يمكن أن نجملها في الآتي:

١. من أهمية الوظيفة التي تقوم بها المرأة، فهي تتعامل مع العنصر البشري أرقى عناصر الوجود وأكرمها عند الله، وتمتلك زمام أخطر وأدق مفصل في حياته وهو التربية. يقول القرضاوي:

"إن عمل المرأة الأول والأعظم والذي لا ينازعها فيه منازع، هو تربية الأجيال، الذي هيأها الله له بدنياً ونفسياً، ويجب ألا يشغلها عن هذه الرسالة أي شاغل، فإن أحداً لا يستطيع أن يقوم مقام المرأة في هذا العمل الكبير، والذي يتوقف عليه مستقبل الأمة، وبه تتكون أعظم ثرواتها وهي الثروة البشرية[١].

٢. تأتي أهمية تربية المرأة أيضاً من المساحة التي تحتلها المرأة في المجتمع الإنساني وسطوة تأثيرها بالإيجاب أو السلب، يقول القرضاوي:

"وإن كانت المرأة نصف المجتمع في العدد، ولكنها أكثر منه في التأثير بالإيجاب أو السلب في زوجها وفي أبنائها"[٢].

---

[١] القرضاوي، يوسف: ملامح المجتمع الذي ننشده، القاهرة – مكتبة وهبة، ط٣، ٢٠٠١م، ص٣٨٣.

[٢] القرضاوي، يوسف: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦، ص٥.

فالمرأة حارسة العش الذي تدرج فيه الطفولة والأمينة على أنفس عناصر الوجود وذلك بالعمل من أجل إنشاء المحضن النظيف الواعي.

٣. وقضية المرأة من أعظم قضايا العصر خطراً، لما للمرأة من دور كبير في حياة الأسرة، وحياة المجتمع، ولا يمكن صلاح المجتمع والأسرة، إذا لم تصلح المرأة"[١].

ولذا نجد المرأة مستهدفة من ذوي الإرادات المشوهة من الداخل والخارج. لزلزلة أركان الأسرة.

ويقول القرضاوي: "ولقد برز التحلل الذي أُصيبت به الحضارة المعاصرة بصورة حية ومجسمة في الكثير من المؤتمرات المغرضة والتي تستهدف المرأة أولاً ومنها مؤتمر السكان بالقاهرة عام ١٩٩٤م"[٢]. ومن بنوده: "إباحة الإجهاض، وتقديم الثقافة الجنسية للمراهقات والمراهقين، وحرية ممارسة الجنس بدون أي التزام قانوني أو شرعي أو أخلاقي ما دامت تلك الممارسات آمنة صحياً! وإباحة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج، مع تأمين هذه العلاقات بإعطائها حق السرية، وعدم انتهاكها..."[٣].

وقاطعت عدة دول إسلامية المؤتمر، كما هاجم بابا الفاتيكان المؤتمر وما ينطوي على برنامجه من اعتداء على حق الحياة النظيفة، ولكن المستهجن حقاً أن يلقى على بنوده ظلال الشرعية من بعض المغرضين.

---

[١] القرضاوي: يوسف، فتاوي المرأة المسلمة، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م، ص٥.

[٢] القرضاوي: يوسف، الإسلام حضارة الغد، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥م، ص٣٦.

[٣] المرجع السابق، ص٣٧-٤٢.

٤. وتأتي أهميتها أيضاً من أهمية التربية عامة والتربية الإيمانية خاصة سيما في عصر جفت فيه روافد التربية الإيمانية ويقول القرضاوي: وقد تبين لي أن الجميع أفقر ما يكون إلى تربية إيمانية صادقة تغسل قلوبهم من حب الدنيا، وتأخذ بأيديهم إلى الله تبارك وتعالى وتحررهم من العبودية للأهواء وللأوهام، لينعموا بالعبودية لله، وبذلك يطهرون عقولهم من الشرك، وقلوبهم من النفاق، وألسنتهم من الكذب، وعبادتهم من الرياء وأقوالهم من اللغو، ومعاملاتهم من الغش، وحياتهم من التناقض. فهم محتاجون إلى التزكية، وهي مهمة الرسل الأساسية مع تلاوة آيات الله تعالى، وتعليم الكتاب والحكمة كما جاء ذلك في أكثر من آية من كتاب الله تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" [آل عمران: ١٦٤][١].

٥. وتأتي أهميتها أيضاً من الوظيفة التربوية والاجتماعية للمرأة كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارها واجباً شرعياً مكلفاً به كل من المرأة والرجل معاً.

---

[١] القرضاوي: يوسف، قضايا إسلامية على بساط البحث، عمان – دار الضياء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م، ص٧٤.

يقول القرضاوي: والقرآن الكريم يحمّل الجنسين الرجال والنساء جميعاً، مسؤولية تقويم المجتمع وإصلاحه، وهو ما يعبر عنه إسلامنا بعنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]. يقول تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [التوبة: ٧١].

ذكر القرآن الكريم في هذا المقام سمات أهل الإيمان بعد أن ذكر سمات أهل النفاق بقوله "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ" [التوبة: ٦٧].

فإذا كانت المنافقات يقمن بدورهن في إفساد المجتمع بجانب الرجال المنافقين فإن على المؤمنات أن يقمن بدورهن في إصلاح المجتمع بجانب الرجال المؤمنين[٢].

واليوم بعد أن انتشر التعليم بين نساء المسلمين لا بد أن يعود للمرأة مكانها الطبيعي لتسهم في مسيرة الصحوة الإسلامية وبناء الحياة الإسلامية المرجوة ومناصرة القضايا الإسلامية أينما كانت[٣].

---

[١] ملائكة، مصطفى، في أصول الدعوة مقيسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٩م، ص٧٦.

[٢] المرجع السابق: ص٧٧.

[٣] المرجع السابق: ص٧٧.

وبذا يبدو جلياً أن رائدة إشعال فتيلة الإبداع لمشروعنا الحضاري الإسلامي، هي المرأة التي تحصنت بسلاح المعرفة الراسخة، وغلّقت الحصون بقوة الإيمان، وأضاءت الدرب بنور اليقين؛ لتعمل على إعمار الآجل والعاجل وصولاً إلى القمة التي تسعى إليها كل منتمية لهذا الدين لتثبت حضورها في ساحة نفسها، وساحة أسرتها، وساحة عالمها الرحب أمام هذه الأعاصير العاتية التي تريد أن تجتث وجودها وأصولها لتقصيها عن معترك الحياة الإسلامية إما بتحويلها نموذجاً للمرأة الغربية أو لسحقها تحت ضغوط الواقع المستسلم لموروث اجتماعي ليس له أصل ديني بل يغذيه رافد الهوى وسطوة المجتمع، ليروي ظمأ أهداف ضيقة محدودة المدى فقدت عقد صلح شريف مع الحياة الفضلى.

فتــربية المــرأة المستقاة من أصول الإسلام ومصادره هي أبرز الحلول المطروحة ولربما أنجعها للخروج من الهبوط الحضاري إلى الفعل الحضاري.

مفهوم التربية الإيمانية:

تُعد التربية الإيمانية المرتكز وحجر الأساس للتربية فهي التي تصل الإنسان بخالقه لتعده إنساناً صالحاً ليرتقي إلى القمة والإحسان في الدنيا ويسعى للفردوس الأعلى في الآخرة، والتي تمد الحياة القصيرة إلى ما بعد الفناء إلى حياة الخلود والأبد

فليست رحلة البشرية كما عاب القرآن الكريم على لسان الجاحدين: "إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" [المؤمنون:٣٧]

ويقصد بالتربية الإيمانية: ربط الولد منذ تعقّله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء[١].

فأما أصول الإيمان فكل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية، والأمور الغيبية، كالإيمان بالله وملائكته ورسله ...، أما أركان الإسلام، فنعني بها: العبادات المالية والبدنية من صلاة وصوم وحج ...، ويُعنى بمبادئ الشريعة كل ما يتصل بالمنهج الرباني، وتعاليم الإسلام من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع[٢].

وحينما طرحت الباحثة على العلامة الدكتور القرضاوي السؤال التالي:

هل تناول الدكتور القرضاوي تربية المرأة إيمانياً على وجه الخصوص؟؟

---

[١] الخداش، جاد الله بن الحسن، المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، عمان – المكتبة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣.

[٢] خطار، محمد يوسف، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد، دمشق – دار التقوى، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٨٨.

فأجاب: إنّ القرآن الكريم قد خاطب الإنسان رجل وامرأة معاً، ولم يفرد تربية إيمانية للمرأة عنها للرجل، وكانت أمهات المؤمنين، ونساء الصحابة يلبين النداء الرباني من غير تمييز بين رجل وامرأة كل حسب قدراته واستعداداته الفطرية. ولم أتطرق لتربية إيمانية خاصة بالمرأة إلا أن هناك بعض الدروس التي كنت ألقيها على الأخوات خاصة كان يقتضي أن أتطرق لبعض القضايا الفقهية الخاصة بالنساء وكانت تحمل بين طياتها دلالات تربوية عامة[١].

ويرى القرضاوي التربية الإيمانية: بأن يُربى ناشئه المسلمين على احترام العقيدة وتقديسها، وتعمل الأسرة والأجهزة التربوية والتوجيهية – التي تؤثر في سير المجتمع – من المساجد والمدارس والجامعات والصحافة والتلفزيون .. والآداب والمسرح بكل فنونه من شعر ونثر وقصص وتمثيل على تثبيتها في العقول والقلوب[٢].

وبهذا العرض تبرز لنا الأمور التربوية الآتية.

---

[١] مقابلـــة شخصية مع العلامة الدكتور القرضاوي، عمان – فندق ميردين، ٢٠٠٥/٧/٤م الساعة السابعة والنصف مساءً.

[٢] القرضاوي: يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، القاهرة – مكتبة وهبة، ط٣، ٢٠٠١م، ص٢٥.

أولاً: وظيفة الأسرة

إن أول هذه الوسائط وأهمها هي المدرسة التربوية الأولى (الأسرة) والتي تحتل الشطر الأكبر من حياة الناشئين. وعليه فواجب المرأة المربية باعتبارها أول من يتصل به الطفل تربيته بكل الوسائل المتاحة بالترغيب والترهيب والقدوة والإرشاد والتعليم المباشر وغيرها...، ويوجه القرضاوي حديثه للمرأة خاصة فيقول[1]:

والبيت مدرسة للطفل جامعة	والأم أول أستاذ لكل صبي
والطفل مزرعة للأم ما غرست	تجني، ولن تجتني شوكاً من العنب
فلتغرسي فيه حب الله، فهو له	كنزٌ إذا خاب حب الناس لم يخب
صليه بالله في السراء يحمده	وفي الشدائد يدعو كاشف الكرب
وذكريه بيوم الدين حين نرى	أعمالنا في أن نخطي وأن نصب

ويرى قمبر: "إن الأسرة أفضل مؤسسة مؤهلة لتربية الصغار وأن فشلها في تربية الأولاد لا يعوضه جهد تربوي آخر"[2].

ثانياً: الأساليب التربوية

وفيما يلي جانب من هذه الأساليب:

١. التربية بالتعليم المباشر "الوعظ والإرشاد": وهو تقديم الأفكار، والمعلومات، والخبرات بطريقة مباشرة، جاهزة ومختصرة[3]. ويقول القرضاوي: "ولا ريب أن الوعظ والإرشاد

---

[1] النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٤.

[2] قمبر، محمود، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ج١، الدوحة – دار الثقافة، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٥.

[3] الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي والمربي، دمشق – دار الثقافة للجميع، ط(١)، ١٩٨١م، ص٤٤٤.

وسيلة هامة سيما إذا قام بها مرب ذو قلب حي، وعقل نير، وهي جزء من مهمة الأنبياء والمرسلين، وستظل جزءاً من مهمة ورثة الأنبياء..."[1]. وحتى يحقق هذا النوع فاعليته، لا بد أن يقوم على المحبة الوالدية، والتي تتصدرها المرأة بدفء إحساسها، وسعة صدرها، والتي تقدم هذا التعليم بلغة الحب.

ومن صور هذا الأسلوب ما جاء في وصية لقمان لابنه وهو يعظه في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣)وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤)وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٥) يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(١٦)يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(١٧)وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨)وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)" [لقمان:١٣-١٩]

---

[1] القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة. بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٤م، ص٢١٥.

وقد جمعت الأيات من خلال موعظة لقمان لابنه، بين حقيقة التوحيد، وأصول العبادات، والنهي عن المنكر، ومبادئ السلوك الأخلاقي القائم على الصبر والتواضع فعلى المرأة أن تستقي من النبع القرآني الصافي أروع الدروس التربوية.

ويرى قمبر: "إن الإرشاد العلمي وحده لا يكفي وإنما يلزم تفهيم الصغير وظيفته هذه القيم أو الفضائل بأسلوب الموعظة والنصح الرقيق الهادئ الذي يميل إلى إقناع الطفل، وعرض أمثلة عملية تكشف له وجه الحق الذي لا يعرفه"[١].

٢. التربية بالقدوة: وهي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً وتكوينه نفسياً وعقدياً[٢]. لذلك وجب على المربية أن تكون النموذج الطيب والقدوة الحسنة يقول القرضاوي: "ما أنفع التربية تقوم على الأسوة الحسنة. والخلق العملي"[٣].

وعليه؛ إن على المرأة أن تستغل هذه المرحلة لترسيخ العادات والأنماط المرجوة لمتطلبات التربية الإيمانية. وتضيف الباحثة أسلوبين هما:

أ. التربية بتفريغ الطاقة: ومن وسائل الإسلام في تربية الإنسان – وعلاجه أيضاً – تفريغ الشحنات المجتمعة في نفسه وجسمه، لكي نطلق هذه الشحنات في عمل إيجابي، لتعمل في سبيل البناء والتعمير[٤]. فيمكن للمرأة أن تفرغ طاقة الحب، في حب الله، والكون والناس، والخير بوجه عام.

---

[١] قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص٥٨.

[٢] الخداش: المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٦٠.

[٣] القرضاوي: نساء مؤمنات، ص٢٩.

[٤] قطب: منهج التربية الإسلامية، ص٢٠٤.

في حين إن وجدت هذه الطاقة المرأة الحصيفة الثاقبة الفهم فإنها ستفرّغ أولاً بأول، لتصرف في سبيل الخير، وتعطي الإنسان كياناً فاعلاً، وتحقق غاية الله في خلق الإنسان، سيما أن الناشئ عجينة سهلة التشكيل.

ب. التربية بالعادة: وحيث تؤدي التربية بالعادة مهمة خطيرة، فهي توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشري بتحويله إلى عادة سهلة. فلا تصبح هذه العادة آلية جامدة في الأداء ويمكن تجاوز ذلك بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة.

وإن كثيراً من أنماط السلوك وأساليب الكلام ومستوى الانفعالات، هي نتيجة عادات مكتسبة دخلت في صميم الشخصية من الطفولة، لذا، كانت رعاية اكتساب العادات من الطرائق التربوية الأصيلة لما يتميز به الصغار من ميل إلى التقليد والاندماج والمشاركة النفسية في حين أنها إذا رسخت عسر تغيرها[١].

ثالثاً: وظيفة وسائل الإعلام

يرى القرضاوي: إنّ لوسائل الإعلام التأثير الأكبر على الأفراد ودورها في تغيير المجتمعات وتبديل مفاهيمها وقوانينها لأسباب عديدة منها: استغلالها لأكثر من حاسة للناس بالكلمة المسموعة والصورة المشاهدة...، ومصاحبتها لهم فترات طويلة، وأخيراً ندرة الوعاظ الموهوبين المؤثرين[٢].

---

[١] الهاشمي: الرسول العربي المربي، ص٤٤٥.

[٢] القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٢١٥..

ونظراً للوظيفة التي يشغلها الإعلام في البناء العقدي السليم فإن هناك حاجةً ملحة للإعلام الهادف ليكون رافداً للرقي بالمرأة نحو الأفضل وللأخذ بيدها لتؤدي رسالتها المنوطة إليها كبديل عن هذا الفتات الذي يغرق في الإسفاف والخواء الروحي. فكيف لنا أن نحمي المرأة والأسرة من لوثة الإعلام المدّمر إن لم نوسع الفضاء باتجاه فقه إعلام إسلامي ليتصدى لتحديات الإعلام ويرد عليه بأقوى منه وفق معايير الإسلام وضوابطه. علماً بأن الآتي يحمل بين طياته تباشير الخير حيث نشاهد بعض الفضائيات كانت رائدة في ولوج هذا الباب، وسارت خطوات موفقة فأنارت عقل المرأة المسلمة، وإن كانت تلك ليست بحجم التحدي، وأيضاً على المرأة أن تكثف من معطياتها لمواجهة المستقبل، أمام هذا الانفجار المعرفي، فكل يوم نسمع ونشاهد الجديد. لتخرج من موقع الانتظار إلى آفاق الفعل والبناء لتصنع مستقبلها وفق طموح دعوتها.

ولا يفوتـــنا أن نـــؤكد على ضرورة تعاضد وتآزر الوسائط التربوية لتعمل مجتمعة صوب الهدف المنشود للتربية الإيمانية وإن تخلي أي وسيط عن وظيفته سيفرز لنا أجيالاً ممزقة نفسياً. قاصرة عن العطاء، مبتورة الصلة بعقيدتها. فرسالة الأسرة يجب أن ترى في وسائل الإعلام والوسائط الأخرى نصيراً لها.

المطلب الأول: التوحيد

التوحيد هو الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان، والخط العريض الثابت له، والركيزة الأولى له، فلا يكاد يخلو مؤلف للقرضاوي من التأكيد على أهمية التوحيد ومن ذلك قوله: "إن الحياة الإيمانية كما يريدها الإسلام تقوم على التوحيد الخالص لله"(١).

والقرآن الكريم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد، وإنكار الشرك، وبيان لحسن عاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة، وقد أصلح القرآن ما أفسدته الديانات الوثنية والكتابية المحرفة من عقيدة التوحيد(٢).

"ولهذه العقيدة عنوان يلخصها شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فهذه العقيدة تمثل تصور الإسلام إلى الخلق والخالق، إلى الدنيا والآخرة فهذا الخالق الأعلى رب السموات والأرض، واحد لا شريك له في ذاته ولا صفاته..(٣)".

قال تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١)اللَّهُ الصَّمَدُ(٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)" [الإخلاص كاملة].

---

(١) القرضاوي: الحياة الربانية، ص٣١.

(٢) القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص٨٥.

(٣) القرضاوي، يوسف، جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م، ص١٤-١٥.

قال تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ(٥٥)وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ(٥٦)" [المائدة: ٥٥-٥٦]

ومن هنا أنكر القرآن الكريم على المشركين أنهم قسموا قلوبهم بين الله تعالى وبين الأنداد فجعلوا من الحب والولاء لهم مثل ما جعلوا لله قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ" [البقرة: ١٦٥].

ومن هنا: إن الله لا يقبل الشركة في قلوب عباده المؤمنين، فلا يجوز أن يكون بعض القلب لله، وبعضه للطاغوت[١].

٣- ألا نبتغي غير الله حكماً: "أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا" [الأنعام: ١١٤]. فهو رفض الخضوع لكل حكم غير حكم الله، وكل أمر غير أمر الله، وكل نظام غير نظام الله وكل وضع أو عُرف أو تقليد أو قيمة أو منهج لم يأذن الله به، وهذا مقتضى إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية[٢].

وحري بالمرأة أن تأخذ ببعض الإضاءات لتنير لها طريق تربية النفس وتربية النشء على التوحيد، وسلامة الاعتقاد.

١. إن مفهوم التوحيد لا يُقتصر فقط على المعرفة الذهنية المجردة بل يقترن به الشطر الآخر وهو العمل. ويعرفه السائح: بأنه إفراد المعبود بالعبادة ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وهذا

---

[١] القرضاوي، جريمة الردة ... وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة، ص١٨.
[٢] المرجع السابق: ص١٩.

يشير إلى أن التوحيد منه ما يرجع إلى العمل - الذي ليس باعتقاد - ومنه ما يرجع إلى الاعتقاد، ولا يتم التوحيد إلا بهما[1].

٢. إن العقيدة الصحيحة تدفع المرء للعمل واتخاذ الأسباب وتمنحه الأمن النفسي للأمور الخارجة عن نطاق إرادته، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأ لم يكن ليصيبه: "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة: ٢١٦]. فيسلم الأمر إلى الله عز وجل، إضافة إلى ما يبعثه الإيمان في النفوس من أمل وحسن ظن برحمان رحيم.

ويؤكد القرضاوي على ألوان الرحمة الإلهية: فيقول إن من معاني الإيمان الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون، ولا يعجزها شيء، قوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بإله يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، إله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبر من خلقه بأنفسهم[2].

فلا ينبغي لمن تملك حسن النوايا - مع - الجهل بحقيقة الإيمان - إن تقدم الترهيب على الترغيب، وشديد العقاب على رحمن رحيم فينقدح في ذهن الناشئ صورة الإله الذي يعذب ويحرق متغافلة صورة الرحمن الرحيم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ١-٤]

---

[1] السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، عمان - منشورات وزارة الأوقاف، ط٢، ١٩٨٣، ص١٩.

[2] القرضاوي، الإيمان والحياة، ص١٣٨.

وثمة مخاوف من الفاظ تسقطها المرأة على أسماع النشء كقولها: إن الله سيحرقك بالنار، إن الله سيعذبك...، وتترك الأثر السلبي على نفسية الناشئ.

- إن أول ما يلقّنه الأبوان للطفل بعد ولادته "التوحيد" شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه عليه السلام أنه **"أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة"**[١].

وإن كان الطفل لا يعقل هذا التلقين إلا أنه يؤكد على عظم شأن العقيدة، ودور الأبوين في ترسيخها واستمرار ذلك من اللحظات الأولى.

ذلك أن عملية البناء والتكوين للفرد تأخذ صفاتها وملامحها الأساسية في مرحلة الطفولة والمراهقة، أما ما يحدث بعد ذلك فإنما هو تعديل في التوجهات والغايات ليستمد فاعليته مما يحمله الفرد من طاقة وصفات اكتسبها في مراحل عمرية مبكرة[٢].

ويميل بعض التربويين إلى أن التربية الإيمانية تبدأ نواتها في ظلمات البطن قبل أن يرى الجنين النور.

فامرأة عمران تقول كما قص علينا القرآن الكريم: "رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" [آل عمران: ٣٥].

---

[١] رواه أبـو داود فـي سـننه، كتاب الأدب باب الصبي يولد فيؤذن في أذنه، حديث رقم ٥١٠٥، ج٣، ص٣٣٣، وصححه الألباني "يُنظر" الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٤٢٥٨، ج٣، ص٩٦١، الرياض – مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٩٨٩م.

[٢] أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط١، ١٩٨١م، ص٢٢٣.

- من المهم في تقديم مفهوم التوحيد تحليل المفاهيم الدينية تحليلاً يجعلها حافزاً قوياً للعمل، ولإعمار الأرض، غير أن تقديم هذه المفاهيم بصورتها التقليدية، أو الجدلية، أو بعيداً عن مشكلات الفكر الحديث؛ يجعل هذا الفهم السقيم يفرز أجيالاً غير قادرة على الإبداع وتحمل المسؤولية.

إن التحليل الصحيح للمفاهيم الإيمانية، يرد إليها فاعليتها وقوتها الإيجابية، رافضاً بذلك أخلاق التواكل، ففهم التوحيد مفجر للطاقات الإبداعية للمسلم ليعود بالإسلام إلى سابق مجده، إلى نموذجه المتفوق[١].

فإذا كانت المؤمنة لا ترجو إلا رضى الله، ولا تخاف إلاّ واحداً، ولا تتوجه بالعبودية إلا لواحد فقد انسلخت من الآلهة المتعددة المصطنعة التي تشتت وتعيق المسير فلا بد أن تنطلق للعمل بفاعلية.

"إن الإنسان المؤمن الموحد يجمع عناصر نفسه، ويوجه مشاعره نحو مصدر واحد للتلقي، فلا يخاف إلا واحد، ولا يتقرب إلا لواحد، فيؤدي هذا التوجه إلى أثر تركيبي في بناء الشخصية، فلا تتوزع مشاعره، ولا تنقسم نفسه، ولا تتشتت همته"[٢].

ويقول القرضاوي: إن التوحيد مصدر الآمان النفسي، لينطلق المسلم كادحاً، عاملاً مؤدياً دوره في الحياة[٣] مستجيباً لقوله تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" [هود: ٦١]

---

[١] محمد السيد، محمد الصالح، إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ، محمد عبدة، القاهرة - دار قباء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨، ص٨.

[٢] محمود، مصطفى، علم نفس قرآني. www.islamset.com/Arabic/apsyeno/mmohtml

[٣] القرضاوي، يوسف، خالد، السعد، خطب الشيخ القرضاوي، القاهرة - مكتبة وهبة، ج٢، ط١، ١٩٩٨م،ص٧٨.

وعليه فإن التوحيد الركيزة الأولى للطاقة الإبداعية للمرأة والالتحام بالكتلة العمرانية ليكون العمل والثمار في الآجل والعاجل لها ولمحيطها.

وهنا لنا وقفتان مع المرأة:

الأولى: يقول القرضاوي: "لا مكان في الإسلام لمنجم ولا ساحر ولا كاهن ولا عراف وهذا بإجماع أئمة الإسلام في سائر الأعصار"[1].

والمرأة في بعض الأحيان تتساهل بهذه القضايا فقد تذهب إلى عراف أو ساحر أو منجم ... إما عن جهل أو عن حسن نية والخلاصة أن هذا التساهل في هذه القضايا يكون من نتيجته أن يقدح بسلامة التوحيد ويزلزل أركان الإيمان.

الثانية: ما يقوله القرضاوي: "جعل الله المرأة مجهزة بجهاز عاطفي أقوى من الرجل فعندها من الحنان والرحمة والعطف ما ليس عند الرجل، وقد لاحظت من تجاربي في الدعوة والتدريس أن المرأة أشد اهتماماً بالدين والتأثر به من الرجل، لأن قلبها في الغالب أشد حساسية وشفافية من قلب الرجل، لهذا، كان على المربين والمصلحين أن يوجهوا اهتمامهم إلى هذا الميدان الخطير – ميدان المرأة – بكل الوسائل والأساليب"[2].

---

[1] القرضاوي، يوسف، موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤيا ومن التمائم والكهانة والرقي، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٤م.

[2] القرضاوي: نساء مؤمنات، ص٥-٦.

فما علينا إلا أن ندخل إلى قلب المرأة لإصلاح عقيدتها من خلال عواطفها، لأن صلاح المرأة يعني صلاح المجتمع: فهي وإن كانت نصف المجتمع في العدد فهي الكل من جهة التأثير لأنها تربي النصف الآخر[١].

وكما أسلفنا فإن الإيمان ليس قناعة عقلية فحسب بل تصديق قلبي، وضمور العواطف تجاه الإسلام ربما يكون شطر من إخفاقاتنا في الواقع المعيش.

---

[١] كساب، أكرم، المنهج الدعوي عند القرضاوي، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٥م.

المطلب الثاني: الإخلاص

يعـد الإخـلاص من ثمرات التوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعـبادة والاستعانة لقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة:٥). ويعرّف الإخلاص: "أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده لا يريد بها تعظيماً من الناس"[١].

ويوجه حديثه للمرأة فيقول:

كونـي مـع الله فـي سـر وفـي علـن فـالله أكـرم مـسؤول ومـصطحب

ويعـرف القرضاوي الإخلاص، بأن يغلب باعث الإيمان على باعث الهوى وحافز الآخرة على حافز الدنيا، فيجعل العبد نيته وقوله وصلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين[٢].

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الأنعام: ١٦٢)

والـرياء نقيض الإخلاص وقد شهد القرآن "بعظمة حرمته "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (البقرة، ٢٦٤).

بل إن الإخلاص والنية الصادقة هي مكمن قبول الأعمال لقوله صلى الله عليه وسلم: "**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**"[٣].

---

[١] النووي، ابو زكريا يحيي بن شرف، الأذكار، بيروت – دار الفكر، ط١، ١٩٨٨، ص ٧.
[٢] القرضاوي: يوسف، النية والإخلاص، عمان – دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦، ص ١٢.
[٣] رواه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي ورقمه ١، ج ١، ص٣.

وحيث دل الحديث أن العمل في صلاحه وفساده يفصله النية الحاملة عليه.

ويبين القرضاوي سر تشديد الإسلام على الإخلاص بقوله: إن الحياة لا ترتقي إلا بالمخلصين، وأكثر ما يصيب الأمم من الكوارث، إنما يجده أناس لا يرجون الله والدار الآخرة، إنهم طلاب الشهرة والزعامة، وعشاق المجد الشخصي[1].

إن من أسرار رفعة السلف الصالح الإخلاص، والذين انحرفوا عن الإخلاص تتساقط أعمالهم وتذهب هباء منثوراً.

قال تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا" (الفرقان: ٢٣)

حاجة الإخلاص للعلم

وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عمن هو اسعد الناس بشفاعته قال: "من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"[2].

ولا إله إلا الله لا تكون إلا عن وعي لا عن تقليد، لأن تحقق الإخلاص لابد له من وعي وعلم: فكثير من الشرائح في المجتمع يقلدون آباءهم، وهذا منطق أبي جهل وأبي لهب، فلا تأخذ الدين وراثة بل عليك أن تتعلمه وتدرسه، وتسأل أباك وأستاذك والعلماء[3].

وحينما سئل الفضيل بن عياض عن تفسير (أحسن عملاً)قال: أخلصه وأصوبه، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[4].

---

(١) القرضاوي: النية والإخلاص، ص ١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب عضة الإمام للنساء وتعليمهن رقم ٩٩، ج ١، ص٤٩.

(٣) القرني، عائض، هذه عقيدتي، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢، ص ٣١.

(٤) القرضاوي: الحياة الربانية والعلم. ص٨٦.

ولا يـتمكن العامـل مـن تحقـيق الأمرين إلا بالعلم، فالعلم دليل على الإخلاص، لذا قال المحققون: إن العالم بلا علم كالسائر بلا دليل[١].

وللقرضاوي توجيهات نفيسة في باب النية والإخلاص يمكن أن نستعرضها بصورة موجزة.

- إن أثـر النـية فـي المباحات والعادات أنها تحولها إلى عبادات وقربات، فالعمل لكسب الـرزق في زراعة أو صناعة ...، يغدو عبادة وجهاداً في سبيل الله، إذا كان عمله ليعف نفسه عن الحـرام ويغنيها بالحلال[٢]. ومن هذا كان عمل المرأة لخدمة أسرتها إذا أخلصت النية قربة وعبادة لله مقدمـة علـى عـبادات أخرى كصوم النافلة وحينما سُئل القرضاوي عن امرأة تصوم نافلة ولا تـستطيع القـيام بأعـباء الزوج والبيت أجاب "الصوم تطوع إما خدمة البيت وأداء الحقوق فرض فالمرأة الصالحة يجب أن تفهم حدود كلمة الصلاح"[٣].

- إن تحقيق الإخلاص أمر ليس بالهيّن، فقد أكد العارفون على صعوبة الإخلاص، ومشقته علـى أنفس الخلق إلا من يسره الله عليه[٤]. "وتخليص النية من فسادها أشد على العالمين من طول الاجتهاد"[٥].

---

(١) ابـن القـيم، محمـد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت - دار الفكر، ج١، (د.ت)، ص ٨٢-٨٣.

(٢) القرضاوي: النية والإخلاص، ص ٢٩.

(٣) القرضاوي، يوسف، بناء الأسرة في الإسلام، ٢٠٠٤/٩/١. www.AjAzeeRA.nt

(٤) القرضاوي، النية والإخلاص، ص ٣٤٠.

(٥) ابـن رجب، زين الدين أبو الفرج، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلام تحقيق يوسف البقاعي، بيروت - المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٤..

ويقول يوسف بن الحسين: "أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكلما أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبـــي فكأنـــه ينـــبت علـــى لون آخر"[1]. وعليه فإن على المرأة أن تثري معرفتها بكل ما يتعلق بالإخلاص والنية مستعينة بالله بالدعاء، ومجاهدة النفس بصبر دؤوب لان ذلك محصوله التمكين في العاجل، والفوز بالدرجات العلا في الآجل، فهو طوق النجاة.

وننهـــي هذا المطلب بحديث القرضاوي حول أهمية الإخلاص في العمل الاجتماعي للمرأة فيقول: ويرى الإسلام أنّ كل عمل اجتماعي تقوم به المرأة تقصد به الخير، لا تصيد الثناء واكتساب الـــسمعة الزائفة عند الناس عبادة من أفضل العبادات ومن صور هذه الأعمال الاجتماعية أن تمسح دمعة محزون، أو تقيل عثرة مغلوب، أو تدفع شراً عن مخلوق، أو أذى عن طريق ... فهو عبادة. وقربة إلى الله إذا تحقق فيها الإخلاص وشرف النية[2].

وحـــيث أن العمل الاجتماعي عبادة ولون من ألوان الدعوة التي تستقطب القلوب، وتتجاوز اللحظة الراهنة، واللذة العاجلة وصولاً لتحقيق مبدأ الوحدة بين الدنيا والآخرة فما على المرأة إلا أن تحيطها بعناية بالغة بعقل واع وقلب مخلص.

---

[1] الذهبـــي، شـــمس الـــدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين العمروي، بيروت – دار الفكر، ج٧، ط١، ١٩٩٧، ص١٥٣.

[2] القرضاوي، يوسف، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، بيروت –مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٣م، ص٢٢.

المطلب الثالث: الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وركائز الاعتقاد السليم.

وجـــاء في السنة الصحيحة من حديث جبريل المشهور أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، فحين سأله عن الإيمان، قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1].

ويقول القرضاوي بشأن الإيمان بالقدر: إنه الإيمان بمقتضى الكمال الإلهي، وقد تميزت به عقـــيدة الإسلام، وصححت به أوهام الفلسفات وانحراف الديانات في شأن الألوهية، فليس الإله في الإسلام معزولاً عما يجري في الكون، لا يعلمه ولا يتدخل فيه بتدبيرٍ وتصريف[2].

وكـــل ذرة فـــي هذا الكون تسير وفق نظام محكم دقيق فلا عبثية، ولا تسقط ورقة حتى في ظلمات البر والبحر إلا وفق تقدير العزيز الحكيم قال تعالى: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"[الفرقان:٢].

وعلـــيه: فـــإن إيمان المرأة بالقدر المستقى من جذور الإسلام ونبعه الصافي دافعٌ للإيجابية والبناء، حيث نلمس قصوراً جلياً وتراجعاً في عطاء المرأة ربما مرده إلى خلل في فهم هذا المفصل الإيماني فقد تحسب كل أمر – قدراً مقدوراً – وكأن ذلك ربما لشيوع عقيدة الجبرية.

ويؤكد القرضاوي على خطورة مثل هذه العقيدة فيقول: وعلى أهل العلم والدعوة والتربية أن يقاومـــوا شـــيوع العقـــيدة الجبرية في أوساط المسلمين، فهي مدمرة تقتل روح الإبداع، وتنشئ في

---

[1] رواه مسلم في أول كتاب الإيمان، وهو أول حديث في صحيحه بعد المقدمة عن ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما، رقم (٨).

[2] القرضاوي: الإيمان بالقدر، ص٩.

الإنسان الرضا بواقعه الأدني[١]. وإذا عدنا لقاموس علم الاجتماع لمعرفة الدلالة التربوية التي تتضح من الجبر والإكراه نجدها: استجابة للقلق، حين يشعر الإنسان أنه مجبر على فعل ما لا يرضى عنه، وقد يكون معترفاً بخطورة هذا الفعل ولكنه غير قادر على تعديل سلوكه[٢]. الإيمان بالقدر – في حياة المؤمن – أقوى حافز للعمل الصالح والإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة[٣].

ويقدم لنا القرضاوي نموذجاً نسائياً من عبق الرعيل الأول مثالاً يحتذى للإيمان بالقدر ونسوقه بخط قلمه فيقول: "دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء فقال لها: يا أماه خذلني الناس، حتى والداي وأهلي، فلم يبقَ إلا اليسير، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فماذا ترين؟

قالت إن قلت: كنتُ فلما وهن أصحابي ضعفت! فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين، وكم خلدوك في الدنيا؟! القتل أحسن.

قال: إني أخاف أن يمثل بي أهل الشام.

قالت: إن الكبش لا يؤلمه سلخه بعد ذبحه.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حُرمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه، فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلّمي الأمر لله.

قالت: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً.

---

[١] القرضاوي: الإيمان بالقدر، ص٣٤.

[٢] غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماعي، القاهرة – الهيئة المصرية للكتاب، ط١، ١٩٧٩، ص٧٨.

[٣] قطب: ركائز الإيمان، ص٤٢٠.

قال: جزاك الله خيراً فلا تدع الدعاء لي قبل وبعد.

قالت: لا أدعه أبداً فمن قُتل على باطل فقد قُتلت على حق.

ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك الظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبرّة بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين، وذهب عبد الله فقاتل وقُتل.

ثــم يأتــي الحجاج فيصلب عبد الله بن الزبير مبالغة في التشفي، ويذهب إلى أسماء فيقول: كيف رأيتني صنعت بعدو الله.

قالــت أراك أفــسدت على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك، وهكذا استقبلت المصيبة الكبيرة بنفس أكبر، وإيمان أقوى. دخل عليها عبد الله بن عمر وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري.

فقالــت ومــا يمنعنــي من الصبر، وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟! وأخيراً آن للفارس المصلوب أن يترجل، وينزل من فوق خشبته وتسلّم إلى أمه فتحنّطه وتكفّنه وتصلي عليه وتودّعه جوف الثرى ليلتقي في دار الخلود بأبيه الزبير وجده أبي بكر وجدته صفية، وخالته عائشة رضي الله عنهم.

ولــم يطل بها المقام بعد ولدها، فما هي إلا مائة يوم أو أقل حتى لحقت به وقد بلغت المائة عام ولم يسقط لها سن أو لم يُنكر لها عقل رحمها الله ورضي عنها[1].

---

[1] القرضاوي: نساء مؤمنات، ص٤٨-٤٣.

المطلب الرابع: العبادة

إن العــبادة هي مهمة الإنسان الأولى في هذا الوجود وهي توصل العبد بخالقه منسلخاً من الإسفاف الأرضي والخواء الروحي.

ويوجه حديث القرضاوي للمرأة فيقول[1]:

وإذا هــوى بــك إبلــيس لمعــصية ... فاهلكــيه بالاســتغفار ينــتحب

بــسجدة لــك فــي الأســحار خاشــعة ... ســجود معتــرف لله مقتــرب

والعــبادة عند القرضاوي تقوم على عنصرين هما: "غاية الخضوع لله وغاية المحبة لله"[2] وهذا ما نقله عن ابن تيمية وارتضاه.

وقد ذكر هذا الغزالي:" إن الأمة مجتمعة على أن الحب لله تعالى ورسوله ﷺ فرض والطاعة ثمرة الحب"[3].

ومما يدل على إتيان الحب لله تعالى قوله تعالى: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" [المائدة: ٥٤]

وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ" [البقرة: ١٦٥].

وقوله ﷺ: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**"[4].

---

[1] النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٤.

[2] القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٥م.

[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٢٨.

[4] رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٤٤، ج ١، ص٩٧.

شمول العبادة

وإذا كان الخالق سبحانه وتعالى قد خلقنا لنعبده بالحب الممزوج بالطاعة ففي أي مجال تكون العبادة؟ ويرى القرضاوي أن لشمول العبادة في الإسلام مظهرين:

الأول: شمول الدين كله والحياة كلها فكل عمل نافع يقوم به المسلم لخدمة المجتمع، ومساعدة أفراده، يترتب عليه نفع مادي، وسرور نفسي للإنسان عبادة[١].

الثاني: شمولها لكيان الإنسان كله، فعمل القلب والجوارح واللسان وكل ما يزيد الإيمان عبادة فدائرة العبادة رحبة واسعة[٢].

العبادة العمرانية

ويؤكد القرضاوي أن إغفال العبادة العمرانية هي مكمن الخلل والانكسار لهذه الأمة في قرونها الأخيرة فيقول: إن الخلافة والعمارة ضرب من العبادة لله تعالى والمؤمن الحق هو الذي يجمعها باتساق وتكامل، والمسلمون لم يحققوا التقدم المنشود في القرون الأخيرة لأنهم لم يقوموا بعمارة الأرض كما أمرهم الله[٣].

ويؤكد القرضاوي في أكثر من مؤلف على العلاقة الوثيقة بين العبادة الروحانية والعبادة العمرانية، وأن الحياة لا يمكن أن تستقيم بأحدهما دون الآخر، وإن كانت الأخيرة ثمه ما تقع تحت سطوة الاتكاء على إلتباس مفاهيم مغلوطة لحقيقة هذا الدين، فالتواكل توكلٌ والانقطاع عن الدنيا

---

[١] القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام.

[٢] القرضاوي: العبادة في الإسلام، ص٨٨.

[٣] القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥م، ص١٨٦.

زهد، والجبرية إيمان بالقدر، وزبدة الأمر تراجع في معطيات المجتمع عامة، ومعطيات المرأة خاصة.

- أن تراعي المرأة (فقه الأولويات في العبادة) يقول القرضاوي "فطاعة الزوج مقدمة على النافلة بل اعتبرها الإسلام جهاداً في سبيل الله"[1]، لقوله ﷺ: "**لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير شهر رمضان إلا بإذنه**"[2]. فطاعة الزوج مقدمة على صيام نافلة بل؛ إنها بحد ذاتها قربة وعبادة إلى الله. لقوله ﷺ: "**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها .. قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**"[3]. وليس ذلك محصوراً في حق الزوج بل حق الأبناء والأرحام وجماع القول: "أن هناك من الفرائض الاجتماعية (كطاعة الزوج، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار، والرحمة بالضعفاء، وإصلاح ذات البين على سبيل المثال لا الحصر ما يفوق أجر عبادة النافلة"[4].
- اشتغال الأغنياء بالعبادات البدنية من صيام وقيام الليل، وهم مغروورون بذلك – لأن البخل استولى على بواطنهم – فالأولى أن يطعموا الجياع، لا يجوّعوا أنفسهم[5].
- عبادة الصدقة والإنفاق في بناء المساجد والمدارس ... وما يظهر للناس ويكتبون الأسماء عليها فيخشى في ذلك من سوء النية، وغياب الإخلاص وفقدان سلّم الأوليات[6] وكثيراً ما يبدو هذا

---

[1] القرضاوي: فقه الأولويات ، ص٢٣.

[2] رواه التـرمذي في سننه، كتاب الصوم، باب (٦٥): ما جاء في كراهية صوم المرأة إلا بإذن زوجها رقم ٧٨٢، ج ٣، ص١٥١.

[3] رواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري، رقم ١٦٦١، ٢ /٣٠٧، قـال أحمـد شـاكر أسـناده منقطع، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، باب حق الزوج على المرأة، ٣٠٦/٤.

[4] القرضاوي: فقه الأولويات، ص٢٤٨.

[5] المرجع السابق، ص٢٤٩.

[6] المرجع السابق، ص٢٤٧.

الأمر جلياً في الأعمال الخيرية التي تقوم بها سيدات المجتمع فتُعلن على الأشهاد، ولا يفوتنا حتى في الصدقة القليلة أن الوجه المقدم الخفاء وخاصة أن المرأة قد تكون أحياناً قلبها في لسانها فلا تحفظ سراً.

– إن انشغال المرأة بالعبادة الروحية ينسيها المتاعب المادية والجسمية فتحيا في الدنيا بقلوب أهل الآخرة"[١] ويدلل على ذلك القرضاوي من حادثة فاطمة الزهراء رضي الله عنها حينما أتت النبي ﷺ شاكية كثرة أعباء الحياة فقالت: لقد طحنت حتى مجلت يداي. فقال لها ﷺ: **مكانكما ألا أخبركما كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان الله في دُبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين**"[٢]. فالقوة الروحية رافداً للقوة الجسمية والنفسية.

ونختم هذا المطلب بحديث القرضاوي عن العابدة رابعة العدوية فيقول: إنها مثال للبطولة الفكرية والسلوكية، ونقل عن عبدة بنت أبي شوال – وكانت تخدم رابعة – أنها قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة، حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين فيها إلا لصرفة يوم النشور. قالت: فكان هذا دأبها حتى ماتت[٣].

---

[١] القرضاوي، نساء مؤمنات، ص٣٥.

[٢] رواه أحمد في مسنده، باب مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٨٨٣، ج١، ص١٠٦.

[٣] يُنظر: القرضاوي، فتاوي معاصرة، ص٥٥٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢١٥.

المطلب الخامس: الصبر

مـــن المؤشـــرات والمظاهر الهامة للتربية الإيمانية "الصبر" ويعني قدرة الفرد على تحمل مشاق الحياة والصمود والثبات في مواجهة الشدائد والأزمات فلا يستحوذ عليه الجزع واليأس والصبر من الأخلاق القرآنية التي أكد عليها الإسلام وهو أكثر خلق تكرر ذكره في القرآن الكريم.

وبــنقل أبو طالب المكي في "قوت القلوب" عن بعض علماء الأمة قوله: أي شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً؟"[1].

ويعرف القرضاوي الصبر بأنه: "حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله تعالى"[2]. كما قال عز وجل "وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ" [الرعد: ٢٢].

ويقابل الصبر: الجزع كما في قوله تعالى على لسان أهل النار: "سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ" [إبراهيم: ٢١].

والـــصبر ضرورة للنجاح في الدنيا والأخرة، يقول أبو طالب المكي: اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار، فيحتاج المؤمن الصبر على المكاره ليدخل الجنة" والصبر عن الشهوات، لينجو من النار[3].

---

[1] المكي، أبو طالب، قوت القلوب ج١.

[2] القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، بيروت- قوس ص١٩٧، الرسالة، ط١، ١٩٩٠م، ص٩-١٠.

[3] المكي، قوت القلوب، ج١، ص٢٠٠.

وإن أهـــل الإيمـــان أشد تعرضا للأذى والمحن والابتلاء في أنفسهم وأموالهم، وكل عزيز لـــديهم، ومـــن ظن أن طريق الإيمان مفروشة بالأزهار والرياحين فقد جهل طبيعة الإيمان[١]. قال تعالى: "الم(١)أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)" [العنكبوت: ١-٣]

ومـــن هنا أمر القرآن المؤمنين أن يستغيثوا بعدتي الصبر والصلاة على ما يواجههم من محن في سبيل دعوتهم. "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [البقرة: ١٥٣].

مجالات الصبر:

بـــادئ ذي بـــدء الـــصبر يمكن أن يدرج تحت أكثر من مجال تربوي يندرج تحت التربية الإيمانـــية الـــصبر عـــن محارم الله، ويندرج تحت التربية النفسية "الصبر على الألم" ويندرج تحت التربية الاجتماعية الصبر على أذى الناس.

ويـــوجه القرضـــاوي حديـــثه إلى المرأة فيقول: وعلى المسلمة الداعية أن تعامل أخواتها البعيدات عن الدين بالرفق، وتدعوهن بالحكمة وتستعين بالصبر[٢].

ويقول أيضاً في شعره ويوصي المرأة بالصبر وأن لا تضعف أمام مغريات الحياة والفتن وأن تصبر وتصابر.

---

[١] القرضاوي: الصبر في القرآن الكريم، ص١٨.

[٢] ملائكة: في أصول الدعوة، مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي ٧٩٠.

صوني حياءك صوني العرض، لا تهني وصــــابري، واصـــبري لله، واحتــــسبي[1]

ويوصي المرأة أيضاً بالصبر على تربية الأبناء وأن الأمومة هي رسالتها الأولى.

لكــــل جــــنسٍ بدنـــيانا رســــالته وللأمـــومة فـــضل الـــصبر والـــتعب[2]

ومجالات الصبر عند القرضاوي.

١- الصبر عن مشتهيات النفس، وهو الصبر عما تشتهيه النفس ويميل إليه الطبع من متاع الدنيا وزينتها، وهنا نجد في هذا المجال الصبر عن الاستجابة لمتاع الحياة الدنيا وزينتها إذا أقبلت على الإنسان، وتزينت له كالحسناء اللعوب، فهذا لون جديد من الابتلاء انه ابتلاء بالسراء وبالــضراء، وبالغنى لا بالفقر"[3]. وقد قال تعالى: "وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً" [الأنبياء: ٣٥] وقال: "فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ(١٥)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ(١٦)" [الفجـر: ١٥-١٦] فجعل الإكرام والنعيم ابتلاء. ويقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "الصبر إما صبر على المصيبة، أو على الطاعة أو عن المعصية، والأخير أعلى درجة من القسمين الأولين"[4]. وما أكثر أبواب الفتن ومتاع الدنيا الذي يُعرض للمرأة في الواقع المعيش.

---

[1] النوتي: العلامة الدكتور ، ص١٤٨.

[2] المرجع السابق، ص١٥٢.

[3] المرجع السابق، ص٤٢.

[4] المدائن، ابن ابي الحديد عز الدين، شرح نهج البلاغة، تعليق محمد أبو الفضل ابراهيم، ج١، بيروت -دار الجيل، ط١، ١٩٨٧، ص٣١٩.

٢- الـصبر على بلاء الدنيا حيث أن بلاء الدنيا، ونكبات الأيام لا يخلو منه بر ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر فمن أسلم من إسقام الأبدان ومتاعب العيش، ومفاجآت الدهر. وهذا ما اقسم الله على وقوعه حين قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥)الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦)" [البقرة ١٥٥-١٥٦]. ويمثل الشخصيات الصابرة في القرآن الكريم صبر أيوب على مرضه وفقدان أهله، وصبر يعقوب على فراق ولديه وكيد أبنائه وكذبهم عليه[1].

٣- الصبر على طاعة الله: إن ثمة معنى نفسي عميق الأغوار، يجعل طاعة الله تعالى وعبادته صعبة على نفس الإنسان فالعبودية شاقة على النفس مطلقا، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد[2]. وفيه جاء قوله جل شأنه خطابا لرسوله: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" [مريم: ٦٥]. وقوله أيضاً: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى" [طه: ١٣٢]. وقد استخدم القرآن هنا صيغة الافتعال مـــن الصبر " اصطبر" مكان الصيغة المعتادة "اصبر" ولافتعال يدل على المبالغة في الفعل فزيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى وفي ذلك إشارة إلى أن طريق العبودية الخالصة لله

---

[1] القرضاوي الصبر في القرآن الكريم، ص٥٦.

[2] المرجع السابق، ص٤٦.

مليئة بالمعوقات والتحديات الداخلية والخارجية. ولربما تربية الأبناء من أكثرها مشقة وكبد فلا تحتاج المرأة إلى الصبر وحده بل افتعال الصبر.

٤- الصبر في مجال العلاقات الإنسانية: وهذا مجال الآداب والعلاقات الاجتماعية بين الناس، فالعلاقات الزوجية لا تستقيم ولا تستقر إلا بأن يصبر الزوجين كل منهما على الآخر، بل أمر القرآن بالصبر وإن أحس أحدهم بالنفرة والكراهية في نفسه مقدما العقل على العاطفة، والانقياد للأخلاق على اتباع الهوى[١]. وفي هذا يقول القرآن في معاملة الأزواج: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" [النساء:١٩] وهذا النوع من الصبر مطلوب في علاقة الآباء مع أبنائهم والأبناء مع ابائهم، والأقارب مع اقاربهم. وإن الفرق بين الإنسان المتحفز وغيره انه يقدر على ضبط نفسه والتحكم في عواطفه وانفعاله، وتوجيه سلوكه وعلاقاته الوجهة الإنسانية التي ترضى الأذواق والآداب والرفعة[٢].

(طرق التربية على الصبر

ومع مشقة الصبر، وصعوبته على النفس، أشار القرآن إلى جملة أمور تبعث على الصبر وتسهم في التربية عليه، منها:

١- المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا، فليست جنة نعيم، ولا دار خلود، إنما هي ابتلاء وتكليف، خلق الإنسان فيها ليصقل ويبتلي ليعد لحياة الخلود في الدار الباقية ومن عرف الحياة على

---

(١) القرضاوي: الصبر في القرآن الكريم ص٥٥.

(٢) المرجع السابق. ص ٥٦.

رســول الله صـــلى الله علــيه وسلم فأخلف الله لي خيراً منه: رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

٢- الاستعانة بالله فهي تشعر المسلم أنه في حماية الله ورعايته ومن كان في حمى ربه فلن يــضام[2] وفــي هــذا يقــول تعالى في خطاب المؤمنين "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [الأنفال:٤٦] وفي خطاب رسوله صلى الله عليه وسلم: "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" [الطور:٤٨].

٣- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم: فالتأمل في سير الصابرين، وبخاصة أصحاب الدعوات، وحملة الرسالات من أنبياء الله ورسله، المصطفين الأخيار، الذين جعل الله من حياتهم وجهــادهم درسا بليغة لمن بعدهم، ليتخذوا منها أسوة "[3]. لذا نجد التأكيد القرآني على قصص الأنبياء بل تكرار الكثير منها في العديد من سوره ففي سورة إبراهيم يحكي لنا القرآن على لسان رسل الله عليهم السلام قولهم "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" [إبراهيم:١٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال عند المصيبة، رقم ٩١٨، ج ٢، ص٦٣٢.
(٢) القرضاوي: الصبر في القرآن الكريم، ص١٠٢.
(٣) المرجع السابق، ص١٠٣.

الحذر من الآفات العائقة عن الصبر: فلا بد للمرأة خاصة وللمؤمنين عامة، ولحملة الدعوات علـــى وجـــه أخـــص، إذا أرادوا أن يعتـــصموا بالصبر أن يحذروا من الآفات النفسية التي تعوق وتعترض طريقة من هذه الآفات[1].

- الاستعجال. فالنفس مولعة بحب العاجل، والإنسان عجول بطبعه حتى جعل القرآن العجل كأنه المادة التي خلق منها الإنسان: "خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ" [الأنبياء:٣٧]
- الـــيأس: فهو من أعظم عوائق الصبر، فإن اليأس إذا وقع على القلب، أطفأ شعاع أملـــه، ولم يبق له صبر على استمرار العمل[2]. لهذا حرص القرآن أن يدفع الوهم عن أنفس المؤمنين فيذر الأمل في صدورهم "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(١٤٠)" [آل عمران: ١٣٩- ١٤٠]. ومـــا ذلك إلا لأن الأمل أكبر معوان على الصبر، واليأس والجزع نقيض الأمل وهذا ما سيأتي الحديث عنه لاحقاً تحت عنوان الأمل والرجاء.

"فإذا استطاع الإنسان أن يتصبر (أي يتكلف الصبر) فإن الله سيعينه على ذلك فتصبح سجيته الصبر"[3].

---

[1] القرضاوي، الصبر في القرآن الكريم، ص١٠٩.

[2] المرجع السابق: ص١١٢.

[3] الشيخلي، عبد القادر، فضيلة الصبر ورذيلة الجزع، إربد – منشورات وزارة الأوقاف، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥.

وخلاصـــة القول أن على المرأة أن تُيقن أن الصبر جوهر التكيف النفسي مع واقع الحياة، فالمرأة التي وسع قلبها حب الله إلا يتسع وعائها النفسي" الأسرة والمحيط.

علـــى أن يكـــون الصبر وفق ضوابط الشرع فقد تعد بعض النساء تجريد الإرادة والموقف الإنسحابي صبراً ورضاً بقدر الله.

ويـــؤكد القرضـــاوي على ضرورة الصبر للمرأة على وجه الخصوص فيقول: "فإذا كان الـــزوج والـــولد بعـــيدين عـــن الدين فالواجب مضاعفة الجهد. والمعركة طويلة وسلاحها الصبر والحكمة"[١].

وكما يقول العقاد: والمشهور عن المسلم في بلاد الغرب أنه يخلط بين الصبر والرضا وبين ســـلب الإرادة وتجـــريد الإنـــسان من حريته"[٢]. وبذا لا تعطي الصورة المشرقة لحقيقة هذا الدين، فالـــصبر لا يعنـــي أن تمتنع المرأة عن محاولة تغيير ما نزل بها من بلاء، وإنما بذل الجهد للتغيير بـــنفس راضية غير متسخطة على أقدار الله بكثرة التذمر و الشكوى. فالصبر في حقيقته رضا عن الله ورضا عن الموقع الجديد.

---

(١) القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ص١٨٢.

(٢) العقاد، عباس محمود، الإسلام دعوة عالمية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، (د-ت) ص١١٢.

المطلب السادس: الرضا

:إن سنّة الله تعالى في عالم النفس قد ربطت الفرح بالرضا والعيش، والغم والحزن في السخط والشك[1].

فالرضا نعمة روحية عظيمة لا يصل إليها إلا قوي الإيمان راسخ اليقين، وقد خاطب الله رسوله ﷺ: "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ" [الضحى:٥]. وأثنى الله على المؤمنين بقوله "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" [البينة:٨].

إن المؤمن قد يعتريه الحزن ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: "وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ" [النمل:٧٠]. ولكن حزن المؤمن لغيره أكثر من حزنه لنفسه وإذا حزن لنفسه فلآخرته قبل دنياه، وإذا حزن لدنياه فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف، وحتى النفوس المنقبضة والطبائع المتشائمة، ينشر الإيمان عليها من ضيائه، فيبدد كثيراً من ظلامها، ويخفف كثيراً من انقباضها"[2].

وحيث إن: الإفراط في الحزن فيه خطورة بالغة، إذ ينسى العبد واجبه في الشكر وتقبل الأقدار الإلهية[3]. والله جل شأنه يطلب من المسلمين أن يكونوا متفائلين دوماً، وأن يبتعدوا عن

---

[1] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٣٣.

[2] المرجع السابق: ص١٣٥.

[3] الساموك: أساسيات التربية الإسلامية، ص١٦٩.

الحزن واليأس، ويزيد الأمر طمأنينة أن الله معهم إذا دعوه[1] قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ" [البقرة: ١٨٦].

والمؤمن راضٍ عن نفسه، وعن وجوده ومكانه في الكون، وراضٍ عن ربه، فهو موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته به تعالى أعظم رحمة [2].

فلا يتطلع الإنسان إلى ما في يد غيره لأنه على يقين جازم: أن تطلعه إلى أهداف فوق قدراته الجسمية والمادية واستعداداته الفطرية يجعله دائم الضيق والألم وقد يدفعه إلى الانحراف[3] والقرآن الكريم يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة.

قال تعالى: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ" [النساء: ٣٢]. والخلاصة أن المرأة إذا أرادت شيئاً فلتسأل الله من فضله بعد الأخذ بالأسباب الموصلة إلى النجاح، فإن نالت شكرت، وإن منعت صبرت لأن المنع لونٌ من ألوان الحكمة الربانية، والرضا في الحالتين محصوله انشراح الصدر ونيل الثواب، ومن العبث أن تكون المرأة دائمة النظر إلى ما أنعم الله على عباده من متاع الدنيا الفاني قال تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [طه: ١٣١].

---

[1] محفـوظ، محمـد جمـال، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٧م، ص١٧١.

[2] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٣٦.

[3] محفوظ، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، ص١٦٩.

ويتوج ذلك كله أن تسعى لتحقيق قوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [الحشر: ١٠].

ويرى القرضاوي أن مما يسخط الناس على أنفسهم ويحرمهم لذة الرضا قصور الإحساس بنعم الله عليهم فيقول: إنهم قليلوا الإحساس بما يتمتعون به من نعم عامرة، ربما فقدت قيمتها بإلفها أو بسهولة الحصول عليها وهم يقولون دائماً: ينقصنا كذا ونريد كذا ولا يقولون: عندنا كذا وكذا[١].

والأصل في ذلك أن المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيء حوله، ويرى كل ذرة في هذه المعمورة تشهد بفضله وعليه فإن على المرأة أن تأخذ بالآتي لتمتلك حس يقظ يستشعرها عظمة الله في الأنفس والكون هي ومن دخل دائرة تربيتها ومسؤوليتها:

١. إحياء عبادة التفكير ودوام التأمل في ملكوت الله فهي من أجل العبادات وفيها دربة عقلية ولها مردود نفسي فعّال في كسر طوق الالف والرتابة تلك التي تجعل الإنسان أسير لهموم وأهداف ضيقة وحين يألف الإنسان المشهود ينسى دلالته الحقيقية، وينسى إعجاز القدرة الربانية لهذا نجد الأسلوب القرآني يعرض آيات الكون بصورة ينفعل بها الوجدان كأنها جديدة. قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" [آل عمران: ١٩٠].

٢. يمكن للمرأة أن تستغل العمليات البيولوجية الاعتيادية في التذكير بنعم الله فعلى سبيل المثال الإنسان يأكل "اللحم" واللسان قطعة لحم لماذا يُهضم اللحم ولا يهضم اللسان...إلخ.

---

[١] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٣٦.

٣. عمل بعض المشاريع الأسرية مثل "صندوق العائلة" حيث يضع فيه أفراد العائلة مقتطعات من خصوصياتهم المالية كل "على حسب قدرته" وتقوم العائلة بالتبرع منه جزء للفقير وجزء للمريض.. الخ، ففيه استشعار بنعم الله على العائلة أن عافاهم الله من جو المرض ومن وطأة الفقر ... وفيه جانب آخر انشراح النفس فإن من أسباب شرح الصدر تقديم الخير لمن يستحقه.

ونختم هذا المطلب بنموذج للرضا من قلب عصر النقاء الإسلامي كما يسوقها القرضاوي فيقول: "... وتترك أم سليم مأثرة للمرأة المسلمة في سجل الخلود فقد مرض فلذة كبدها واختطف المنون الغلام الصبيح فماذا صنعت الأم وقد فقدت ولدها وقرة عينها؟ لقد هيّأت أمر الصبي، فغسلّته وكفّنته وحنّطته وسجّت عليه ثوباً، ثم أرسلت أنساً يدعو أبا طلحة، وأمرته ألاّ يخبره بوفاة ابنه، حتى تكون أول من تخبره، وجاء أبو طلحة، وسأل: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح. وظن الأب أنه قد عُوفي، وكان صائماً، فقدّمت له إفطاره، فأفطر وأقبل الليل، فتزينت وتطيبت، ثم تعرضت له فأصاب منها وقضى وطره فلما اغتسل وأراد أن يخرج فقالت: يا أبا طلحة ... أرأيت لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: ليس لهم ذلك. إن العارية مؤداة إلى أهلها، فلما انتزعت منه هذا الجواب قالت: إن الله أعارنا ابننا فلاناً ثم أخذه منّا، فاحتسبه عند الله ... قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني؟! وذهب إلى النبي ﷺ فصلّى معه وأخبره بما كان منهما، فقال النبي ﷺ "بارك الله بكما في ليلتكما" وصعد الدعاء ففتحت له أبواب فولد لهما من تلك الليلة عبد الله بن أبي طلحة والد إسحق بن عبد الله الفقهي التابعي وإخوته، وقد كانوا تسعة، كلهم حمل عنه العلم، وختم القرآن"[١].

---

[١] القرضاوي: نساء مؤمنات، ص٥٩-٦١.

المطلب السابع: الأمل والرجاء

إن من مظاهر التربية الإيمانية، الأمل والرجاء وحسن الظن بالله ولبيان أهميته لا بد من استعراض مفهومه وأدلته ثم ما ذكره القرضاوي في هذا المقام، حتى يؤدي الغرض المراد منه.

الأمل وفي معناه حسن الظن[1] بالله وهو الرجاء، وقيل الثقة بالله والتوكل عليه[2] والأمل يحمل في مضامينه طلب التوفيق من الخالق والطمع في هدايته، ورجاء الاستزادة من نعمه وثوابه[3].

ومن أدلته من القرآن الكريم قوله تعالى: "يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" [يوسف: ٨٧]. روح الله أي فرجه وتنفسه[4].

والمعنى أن لا تقطعوا الرجاء والأمل من الله، فإنه لا بقطع الرجاء والأمل بالله إلا الكافرون[5].

ويفسر الرازي ذلك لقوله: "واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يتحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل، وكل واحد من هذه الثلاثة كفر ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً"[6].

---

[1] ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب.

[2] جاد المولى، محمد أحمد، الخلق الإسلامي، بيروت – منار للنشر، ص١٠٠، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٧٣.

[3] ابن القيم: مدارج السالكين، ج٢، ص١٢٧.

[4] ابن سعدي، عبد الرحمن، القول السديد في مقاصد التوحيد، الرياض – المؤسسة السعدية، (د.ط) ص١٣٤.

[5] ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ص٢٦٤.

[6] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ج١٨، ص٥٠١.

وفي الحديث قوله ﷺ: **"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله"**[1].

ويرى القرضاوي الأمل بأنه: قوة دافعة، تشرح الصدر للعمل، وترفع صرح العمران، فيدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة والعمل[2]. وضد الأمل اليأس الذي يوهن العزيمة، ويضعف الأعضاء ويقطع خيط الرجاء في القلب.

ويقول القرضاوي: اليأس من لوازم الكفر، وكل من حُرم الأمل، عاش ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود، ويرى الأرض غابة، والناس وحوشا[3]. ويرى أن الأمل لا بد منه لتقدم العلوم فيقول: فلو وقف عباقرة العلم والاختراع عند مقررات زمانهم ولم يمدهم الأمل بروحه في كشف المجهول، واكتساب الجديد من الحقائق والمعارف، ما خطا العلم خطواته الرائعة إلى الأمام[4].

وخلاصة القول: أن الأمل والرجاء هو النور الذي يضيء للمرأة الحاضر والآتي فلا يدعها تقع أسيرة للتشاؤم واليأس لتكون أكثر إيجابية وتفاؤلاً ليقودها إلى الفاعلية والعمل والحركة. وتؤدي رسالتها الأولى المنوطة إليها والتي تشغل الصدارة في فقه أولوياتها تربية العناصر البشرية وتنميتهم وإعدادهم لغد مشرق بعيداً عن مثبطات الواقع فقد تبني بعد طول كبد وتجد الوسائط التربوية تهدم كل ما تبنيه فهي لا ترسم للذة العاجلة واللحظة الراهنة، وحينما سألت امرأة القرضاوي عن ابنتها التي ترفض الحجاب في ديار الغربة، ولا تجد من يعينها على تربيتها وحتى زوجها لا يعنيه الأمر. أجاب القرضاوي: جزى الله هذه الأم خيراً فالأب ترك المسؤولية على المرأة فأصبحت أماً وأباً مع

---

[1] رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٨٧٧، ج٤، ص١٧٤٨.

[2] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٦٤.

[3] المرجع السابق: ص١٦٦.

[4] المرجع السابق: ص١٧٢.

أن الرجل هو الراعي الأول، فما على المرأة إلا أن تعمل ولا تيأس من ابنتها التي لم تستجب لحسن توجيه الأم، وتحاول أن تخلطها بالمسلمات العاملات في الحقل الإسلامي والأمل بالله[1].

وللأمل دور كبير في حياتنا النفسية وفي تصرفاتنا وما نقوم بوضعه من خطط، وقد لا يكون المبالغة بالقول: بأن جميع المناشط الإيجابية في حياة الفرد ترتبط على نحو أو آخر بما يعتمل في داخله من أمل[2].

وهناك ضابطان للأمل لا بد للمرأة من اعتبارهما لفهم حقيقة نظرة الإسلام للأمل:

أولهما: الأمل لا يقف عند حدود الدنيا بل لا بد أن يمتد ليشمل خير الآخرة، وقد ورد عنه ﷺ أنه كان يدعو فيقول **"ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا..."**[3].

ثانيهما: قد يؤدي الأمل إلى التسويف بالتوبة، والاغترار بحلم الخالق عز وجل وهذا ما ينبغي التحرز منه، ويقول القرضاوي: إن آفة الإنسان إنه لا يزال يمنى نفسه لطول الأمل، ويزيح شبح الموت عن أمام عينه، فأبن العشرين يقول: أتوب في الأربعين، وابن الأربعين يقول أتوب في الستين.. علماً بأننا في عصر كثر فيه موت الفجأة[4].

---

[1] القرضاوي، ويسف، المرأة في الشرق والغرب أخطاء وممارسات ٢٤-١١-١٩٩٦م. www.ALJAZEERA.net

[2] ميخائيل، أسعد يوسف، التفاؤل والتشاؤم، القاهرة - دار نهضة مصر (د.ت) ط١، ص٣٢١.

[3] رواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، حديث رقم ٣٥٦٩، ج٩، ص٤٧٦.

[4] القرضاوي: التوبة، ص٢٤٨.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: "أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة[1].

فينبغي للعاقلة ترك التسويف والإعراض عن طول الأمل ذلك إن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والإقبال على الخير، حتى توافيه منيته وهو في غفلة من أمره[2].

---

[1] علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، بيروت – دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٠م، ص٨٣-٨٤.

[2] ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، بيروت – دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥، ص٤٨٦.

المطلب الثامن: معينات التربية الإيمانية عند القرضاوي

إن للقرضاوي رويه نيِّرة في تقديم معينات للتربية الإيمانية وستجد المرأة السائرة في طريق الله أن هذه المعينات بواعث نفسية وروحية، وعوامل فكرية تعمل مجتمعة رافداً للتربية الإيمانية.

١- التربية بالنماذج النسائية

من المعينات التي تثبّت الإيمان، وتعين عليه عرض "نماذج مؤمنة" ترى فيها المرأة معاني الإيمان مجسمة في بشر يمشون على الأرض، يمكن أن تتخذ من حياتهم أسوة حسنة.

ويقول القرضاوي: ولعل من الخير الذي قدّره الله أن بدأنا بنماذج النساء المؤمنات، فمن هذه النماذج[١]:

خديجة المؤمنة: يقول القرضاوي: كانت أول من آمن بالله وبرسوله شاطرته متاعب الدعوة، وآلام الرسالة راضية دخل الشعب فدخلت معه، وذاقت مرارة الحرمان، وعضة الجوع، وهي ذات المال الوفير وربيبة الرفاهية والنعيم...[٢].

ويضيف القرضاوي: "هناك ثلاث نسوة بارزات في حياة الرسل الثلاثة أصحاب الديانات الكبرى: آسيا امرأة فرعون في حياة موسى، ومريم في حياة عيسى، وخديجة في حياة محمد ﷺ، كل واحدة منهن كفلت نبياً مرسلاً قبل بعثته، وأحسنت الصحبة في كفالته، وصدّقت به بعد رسالته"[٣].

---

[١] يُنظر القرضاوي، يوسف، نساء مؤمنات، القاهرة – مكتب اليُسر لخدمات الطباعة، ط٣، ١٩٩٠م، ص٤.

[٢] المرجع السابق، ص١٧-١٨.

[٣] المرجع السابق، ص١٧-١٨.

ونظراً لغلبة العاطفة على قلب المرأة وطبعها، - ويخشى منه أحياناً - أن تقود العاطفة للجنوح نحو الاستسلام للحزن والأسى ولكن الإيمان يصنع لنا نماذج إيمانية رائدة.

فهذه الخنساء يقول القرضاوي فيها: "المرأة التي فقدت في جاهليتها أخاهاً لأبيها صخراً فملأت الآفاق عليه بكاء وعويلاً، ترك منه الزمان لنا ديواناً كان الأول من نوعه في شعر المراثي بالدموع.

ولكنها بعد إسلامها نراها امرأة أخرى .. نراها أماً تقدم فلذات أكبادها إلى الميدان، راضية مطمئنة فهي تقدم بنوها الأربعة في القادسية محرضة دافعة مرددة على أسماعهم قوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [آل عمران:٢٠٠]

وبلغ الأم نعي الأربعة أبطال في آن واحد فقالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"[١].

ويصف قائلاً: ما الذي غيّر خنساء النواح والبكاء إلى خنساء التضحية والفداء ... إنه صانع المعجزات إنه الإيمان[٢].

ويضرب لنا القرآن نماذج إيمانية مضيئة في سماء التاريخ الإنساني لأمهات خالدات.

---

[١] المرجع السابق: ص١٤.

[٢] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص٢١٦-٢١٨.

فأم موسى تستجيب إلى وحي الله وإلهامه وتلقي ولدها وفلذة كبدها في اليمّ مطمئنة إلى وعد ربها "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" [القصص:٧][1].

وأم امريم التي نذرت ما في بطنها محرراً لله خالصاً من شرك أو عبودية لغيره، داعية الله أن يتقبل منها نذرها "رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [آل عمران:٣٦][2].

ومريم ابنة عمران جعلها الله آية في الطهر والقنوت لله والتصديق بكلماته "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" [التحريم:١٢][3]. فهذه النماذج الإيمانية النسائية ترى فيها المسلمة دافعاً للعمل لتملأ الفراغ.

٢- العلم الراسخ

ويقصد به "العلم الراسخ بأحكام الشرع، وبأمراض القلوب وعلاجها، وخطورتها، وكيفية التخلص منها ولا يأتي هذا إلا بالعلم الذي يستيقنه المؤمن في أعماقه بأهمية الإيمان وضرورته الدينية وثمراته في الدنيا والآخرة [4].

---

[1] القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص٢٣١.

[2] المرجع السابق: ص٢٣١.

[3] المرجع السابق، ص٢٣١.

[4] القرضاوي: الإيمان بالقدر، ص١٢٠.

قال تعالى: "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" [إبراهيم: ٣٨].

ويوجه القرضاوي حديثه للمرأة فيقول:

ونافع العلم للجنسين مفترض ولا فرق بينهما في الحث والطلب[١]

ويوجه حديثه في مقام آخر فيقول: إن البناء التربوي والثقافي يجب أن يقوم على أسس من أبرزها: أن يكون التعليم لجميع الأطفال ذكوراً وإناثاً إلزامياً، وأن تزال كل المعوقات من طريقه، لأن القيام بأعباء الدين والحياة المعاصرة لا يتم إلا بحظ معقول من التعليم[٢].

والتربية الإيمانية مركبة من ثلاثة عناصر: عنصر معرفي إدراكي، وعنصر انفعالي وجداني، وعنصر عملي، ولا ريب أن أول هذه العناصر هو: العلم والمعرفة ثم يأتي التوجيه الوجداني (المحبة والرغبة) أو (البغض والرهبة) نتيجة المعرفة، وكلما قويت المعرفة رسخ العلم حتى يصل درجة اليقين، فالمرء يعرف أولاً، فيتأثر ثانياً، فيتحرك ثالثاً[٣].

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ" [الحج: ٥٤].

فأول هذه العناصر هو العلم الراسخ، والإدراك الواعي فنعلم متى يكون العمل مقبولاً ومتى يكون العمل مودوداً لتحري الأصوب.

---

[١] النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٤٨.

[٢] القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٩٩٣م، ص٥٤.

[٣] الخطيب، الحديدي: تعديل السلوك، ص٣٠٩.

وهناك تناسبٌ مطردٌ بين قوة المعرفة، ونور اليقين وقد يكون جهل المرأة وصدودها عن العلم الراسخ طريقاً إلى تخلفها وقصورها في الدنيا ولربما أشدُ منه تخلفاً وقصوراً في الآخرة.

وهناك رؤية تؤكد أهمية المعرفة: إن العمليات المعرفية تستطيع تعديل السلوك، من خلال تغيير طرق تفكير الفرد، فالإنسان يكوّن مفاهيم ومعتقدات خاصة به تؤثر على سلوكه[1].

وعلى المرأة أن تقرأ في كتب التربية والتزكية لمعرفة أعمال القلوب، لكي تسير على هدى ونور وتربي الأبناء على هذه الركيزة الإيمانية التربوية منذ نعومة أظفارهم، فمن الكتب النفيسة في هذا المقام: كتاب الإيمان والحياة، وكتاب التوكل، وكتاب الإيمان بالقدر، وكتاب التوبة، وجميعها للقرضاوي.

وهذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر، وليس مجال التفصيل هنا في المجالات التربوية الأخرى«وعلى المرأة أن تكثر من القراءة في أحوال الآخرة وأحوال أهل البرزخ، وما أعده الله للطائعين..، فلهذا أثر عجيب في تجريد القلب لله تعالى»[2].

---

[1] الخطيب: تعديل السلوك، ص٣٠٩.

[2] الكسواني، ناصر، الإخلاص والنية الصادقة، عمان – دار العلوم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص١٤٢.

٣- **مجاهدة النفس:**

يقول القرضاوي للمرأة[١]:

وسوق إبليس في هذا العصر نافقة	وجنده ناشط في جيشه اللجب
فاستمسكي بعرا الإيمان وارتفعي	بالنفس عن حمأة الفجار واجتنبي
إن الرذيلة داء شرهُ خطر	يُعدى ويمتد كالطاعون والجربِ[٢]

ونعني بالمجاهدة: توجيه الإرادة لجهاد النفس الأمارة بالسوء ومقاومة رغباتها الذاتية والدنيوية حتى تخلص لله.

قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" [العنكبوت:٦٩].

فهذه المعركة الحقيقية والإنتصار فيها هو بداية الانتصار، والهزيمة فيها اعترافٌ بالهزيمة النفسية، وإقرار بالعجز. وهذه الآية مكية، نزلت قبل أن يُشرع الجهاد بالمعنى العسكري، فهي أحق أن تكون في ألوان الجهاد الأخرى وفي مقدمتها جهاد النفس[٣].

وفي الحديث الشريف: "**المجاهد من جاهد نفسه. أو قال: "في الله عز وجل**"[٤].

ولجهاد النفس صور عديدة يؤكد عليها القرضاوي سأستعرض صورتين:

---

[١] القرضاوي: الإخلاص والنية، ص١٠٩.

[٢] النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٤٨.

[٣] المرجع السابق، ص١١٩.

[٤] رواه أحمد في المسند: ٦، ٢٠، ٢٢، والترمذي في الجهاد وقال حديث صحيح.

أولاهما: العمل بصمت بعيداً عن الأضواء وطنين الشهرة فهو يفضل أن يكون أبداً "الجندي المجهول" فهو من الأبرار الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يحفهم ضجيج الإعلام[1] ويؤكد الغزالي ذلك بقوله:

على الإنسان أن يخفي عمله عن أعين الناس، وأن يبذل قصارى ما يستطيع في قلع أصول هذا الداء من قلبه، فإذا هاجت الرغبة قاتلها قتال المستميت فإذا علم الله منه الصدق دفع عنه هذه الخطرات[2].

وإن كان الموجة المقدم في العمل الخفاء، إلا أن هناك مفهوماً كثيراً ما يقع فيه الخلط واللبس فتترك المرأة العمل خوف من الرياء، والحسن البصري يقول: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم شرك[3]. ولا بد للمرأة أن تعلم أن فهم هذه الركيزة انطلاقٌ للعمل الفعال. فكيف لامرأة معزولة صامتة تقوقع في زاوية حجرتها لا تدخل فريضة الإصلاح في خطة عملها أن تحقق الإخلاص، إن من أكثر صور الإخلاص تجلياً أن يحيط بالإنسان طنين الشهرة، وعبارات الثناء من الخلق ولكن قلبه موصولٌ بميزان الحق فلا يضره سخط أو رفض، إلا من توجه بالعمل إليه، فهذا من صور التمحيص لصدقه ومن المستهجن حقاً أن إخفاء العمل لتحقيق هذه الركيزة لا تزيد العبد إلا قبولاً.

ثانيهما: الفرح بكل كفاية تبرز، والاعتراف بفضلها، وإتاحة الفرصة بكل ذي موهبة أن يأخذ مكانه دون تعويق له ونلحظ بعض العاملين في الصفوف الأولى يمسك بموقعه وكأنه معين من

---

[1] القرضاوي: الإخلاص والنية، ص٧٤.

[2] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت – دار المعرفة (د.ت) ج٣، ص٣١٠.

[3] ابـن القـيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت – دار الكتب العلمية، ج٢، (د.ط) ص٩٥.

السماء ... فلا ينبغي التذرع بمصلحة الدعوة ... فلربما كان ذلك من أحابيل الشيطان فيسد الطريق على المواهب الفتية، مدّعياً أن الخبرة تنقصهم علماً بأنهم يكتسبونها بالممارسة[١].

والرسول ﷺ يعطي الفرصة للمواهب الفتية لكي تظهر بل ويثني عليهم فيمتدح أصحابه فخالد بن الوليد "سيف الله المسلول" وأبو عبيدة "أمين هذه الأمة"[٢]. والسؤال الذي يطرح كيف للمرأة أن توفق بين هذين الحديثين الشريفين؟؟ قوله ﷺ: **"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"**[٣]. وقوله ﷺ: **"احثوا في وجه المداحين التراب"**[٤].

فقد وضع العلماء ضوابط لإسقاط عبارات المدح والثناء وهي: الصدق، وعدم المبالغة، وأمن الفتن من العجب على الممدوح، وإذا اقترن المدح بمنفعة كالتحفيز فإنه مطلوب شرعاً[٥].

وعليه إذا حجزت المرأة الثناء على من دخل دائرة الضوابط الشرعية له، فما عليها إلا أن تبحث عن الخلل أهو نصرة للنفس، أم هوىً خفي أم ....، مما يمكن أن يدور في فلك الذاتية والفردية الضيقة.

وأساليب إبليس خفية فقد يستدرجها من حيث لا تدري فيزين لها النصرة للنفس نصرة لله، ومصلحة الذات مصلحة الدعوة لتصبح في نهاية المطاف عدوة للنجاح علماً بأن الأصل أن كل نجاح لصالح الدعوة هو نجاح لكل موحد؛ فالنجاح ليس حكراً على الأسماء بل يندرج تحت العنوان العريض "نجاح للإسلام.

---

[١] القرضاوي: الإخلاص والنية، ص٨١.

[٢] الكسواني: الإخلاص والنية الصادقة.

[٣] أخرجه الترمذي ورقمه ١٩٥٦، وقال حديث حسن صحيح.

[٤] رواه مسلم ورقمه ٣٠٠٢.

[٥] النووي، يحيى بن شرف الدين، الأذكار، بيروت – دار الفكر، ط٢، ١٩٩٨، ص٢٧٦-٢٨٠.

وعليه، تحتاج المرأة إلى قلب واعٍ، وصبر دؤوب وفهم ثاقب ونية مخلصة وصولاً إلى الأصوب والأخلص لأن مجاهدة النفس فيها معاناة ومشقة ولكن صدق الاستعانة بالله، والمحاولة والتكرار يعين على تحقيق الهدف المنشود

٤- معرفة آثار المعاصي في الدنيا والآخرة:

يوجه القرضاوي حديثه للمرأة خاصة فيقول(١):

وإذا هوى بك إبليس بمعصية فاهلكيه بالاستغفار ينتحب

ما أهون الذنب يمحوه المتاب وما أقصى الذنوب إذا المغرور لم يتب

ومن أعظم المعينات على التربية الإيمانية: أن يعرف الإنسان آثار الذنوب في النفس والحياة. ويستحضر أخطارها في الدنيا والآخرة؛ فالذنوب خطر على المرء في حياته الروحية والمادية والاجتماعية بل والإنسانية كلها بل الحيوان والنبات(٢).

وبدأ يتضح أن الذنوب تزلزل بناء التربية الإيمانية والاجتماعية والنفسية بل تهدد المعمورة كافة، وقد جرت سنة الله تعالى أن يعاقب على الذنوب في الدنيا والآخرة: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [الروم:٤١]. والفساد هنا معناه: الخلل والاضطراب والكوارث، التي تقع في الكون والحياة بسبب ما كسب الخلق من المعاصي والمخالفات لنواميس الله الشرعية والكونية(٣).

---

(١) النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٥.

(٢) القرضاوي: التوبة إلى الله، ص٢٨٣.

(٣)المرجع السابق، ص٢٨٤.

كما قال تعالى في كتابه: "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"[آل عمران:١٨٢]

"وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" [الشورى:٣٠].

وفي السنة النبوية جاءت أحاديث صحاح، وحسان شتى تبين لنا ما تجلبه المعاصي على مرتكبيها في أولاهم قبل أخراهم.

نذكر من هذه الأحاديث ما رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن عمر أن "النبي ﷺ" قال: "**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا: ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين[١] وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله إلاّ سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم ... وما لم تحكم أنفسهم بكتاب الله عز وجل، ويتحروا فيما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**"[٢].

ولا يغيب عن ذهن المرأة أن آثار المخالفات والذنوب ناطقة في الواقع المعيش، ولا بد أنها لمست صدق هذه الدلائل فما (الإيدز) فقدان المناعة المكتسبة إلا أحد هذه الشواهد الناطقة ودليل ساطع على صدق النبوة لما هو آت.

---

[١] أخذوا بالسنين: القحط والمجاعة.

[٢] رواه ابن ماجه عن ابن عمر: صحيح الجامع الصغير (٧٩٧٨).

وللإمام ابن القيم قول نفيس في هذا المقام، حيث يتحدث في كتابه "الدواء والداء"[١] عن آثار المعاصي وشؤمها. والآثار القبيحة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة يمكن أن نستخلصها بصورة موجزة: حرمان العلم، وحرمان الرزق، والوحشة بينه وبين الله، والوحشة بينه وبين الناس، وتعسير أمور العاصي، وظلمة القلب، وتحرم من الطاعة، وتقصر الأعمار، وتضعف إرادة الطاعة، وتورث الذلة، وتفسد العقل، وتجلب لعنة الله على فاعلها. وتحرم من دعاء النبي والملائكة، وتضعف سير القلب إلى الله، وتزيل النعم، وتجلب المعيشة الضنك[٢].

إن هناك الكثير من الذنوب والخطايا يقع فيها الجم الغفير من النساء (معاصي القلوب) حيث تدق وتخفى على كثير منهن إما للجهل أو للخفاء عليهن، وطوق النجاة للمرأة للخروج من هذا المأزق أن تتوب إلى الله تعالى توبة عامة شاملة مما تعلم من ذنوبها ومما لا تعلم فلربما "ما لا تعلمه المرأة من ذنوبها أكثر مما تعلمه".

٥- صحبة أهل التربية الإيمانية والتأسي بهم:

ومما يعين على التربية الإيمانية صحبة أهل الإخلاص ومعايشتهم والحياة في رحابهم ليتأسى بهم ويأخذ عنهم[٣].

فيقول للمرأة[٤]:

وأين من كانت "الزهراء" أسوتها ومن تقفّت خطى (حمالة الحطب)

---

[١] يطلق على الكتاب أيضاً اسم "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"

[٢] الجوزية، ابن قيّم، الداء والدواء، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت – المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٨-٧٥.

[٣] القرضاوي: الإخلاص والنية، ص١١٤.

[٤] النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٤٨.

هل يستوي من رسول الله قائده دوماً، وآخر هاديه (أبو لهب)

فمن طبيعة الإنسان التأثر بمن يخالط في السلوك والطباع فلربما ينهج سلوكه من غير أن يحرص على اقتناصه بل لربما كان ينفر منه لذلك قال ﷺ: "**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**"[١].

وكذلك في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: "قال النبي ﷺ "**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك**[٢]**، وإما أن تبتاع منه، وأما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة**"[٣].

٦- الدعاء والاستعانة بالله:

فيقول القرضاوي[٤]:

لوذي به دائماً وادعيه ضارعة فالله أكرم مسئول ومصطحب

ومما يقوي ذلك كله أن تستعين بالله تبارك وتعالى على أمرها، فالدعاء سلاح المؤمنة، وسبب من الأسباب الروحية التي شرعها الله للإنسان ليحقق مطالبه، عندما تعجز وسائل الإنسان المادية[٥] قال تعالى: "**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ**" [البقرة: ١٨٦]. فالدعاء مخ العبادة ويلطّف القدر

---

(١) رواه الترمذي ورقمه ٢٣٧٨ وقال حديث حسن غريب.

(٢) يحذيك أي يعطيك.

(٣) رواه البخاري، ورقمه ٥٢١٤. ومسلم رقمه ٢٦٢٨ عن أبي موسى الأشعري.

(٤) النوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٥.

(٥) القرضاوي: الإخلاص والنية، ص١٢٠.

ومفتاح الفرج؛ فعلى المرأة أن تغتنم النفحات الإلهية وتتحرى ساعات استجابة الدعاء لتتحقق الحياة الإيمانية العمرانية المنشودة لها ولأسرتها ولأمتها.

ومن المعروف أن أهل (مدرسة الليل) على يقين قاطع بأنها الساعات الذهبية سيما الدعاء الذي يغسل أدران القلب، ويعين على التربية الفضلى.

لهذا خاطب رب السماء رسول الله ﷺ "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" [المزمل: ٦].

٧- قراءة سير الصالحين (الكتاب):

ومن المعينات أيضاً قراءة سير الصالحين، والتعرف على حياتهم والاهتداء بهداهم، فإن لم يجد السالك إلى الله أن يجد الصالحين من الأحياء ليصاحبهم، فلا أقل أن يعجب بالصالحين الأموات، فإن الأخلاق كالأفكار لا تموت بموت أصحابها. فهذه صحبة نفسية ومعايشة إيمانية[١].

وتراثنا حي بالنماذج الإيمانية؛ فالنبي الشاب الفتي الذي تعرض عليه الفتنة "كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" [يوسف:٢٤].

ومن هنا يقول أبو القاسم الجنيد: الحكايات جند من جنود الله عز وجل يقوى بها إيمان السالك، فقيل له هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله تعالى: "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" [هود:١٢٠][٢]..

---

[١] القرضاوي: الإخلاص والنية، ص١١٦.

[٢] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – دار الكتب العلمية، ج ٣، ط١، ١٩٩٧، ص٧٥.

ويقول عبد الفتاح أبو غدة: "إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح، وقدح المواهب هو قراءة سير نبغاء العلماء والصلحاء فذلك خير وسيلة لرفع الهمم، وإثارة القلوب، وإخلاص النيات، وتفجير الطاقات المدفونة"(١).

٨- معرفة الإنسان بضعفه وعجزه:

معرفة الإنسان بضعفه الفطري، ومحدودية علمه وإرادته وقدرته، فقد خلقه ضعيفاً وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، ومنحه أدوات السمع والبصر والفؤاد، ليتعلم ما لم يعلم ما يمكنّه من أداء رسالته في الأرض(٢).

ولكن يظل علمه علم بشر وقدرته قدرة بشر، فأي مخلوق محدث مسبوق بالعدم وملحوق بالموت، فوجوده وحياته وعلمه وكينونته كلها ليست بذاته ولا من ذاته، بل من ربه عز وجل(٣).

قال تعالى: "**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(١)إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(٢)**" [الإنسان: ١-٢]. "**أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**" [مريم:٦٧].

---

(١) أبو غدة، عبد الفتاح، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٥، ١٩٩٧، ص١٨.

(٢) القرضاوي: يوسف، التوكل على الله، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦، ص١١٣٠.

(٣) المرجع السابق: ص١١٣.

وعليه يتولد لدى المرأة يقين قاطع: أن لا حول ولا قوة إلا بالله الذي علمها ما لم تعلم. وهذا من أعظم البواعث لتعلق العبد بربه: تعلق العاجز بالقدير، والضعيف بالقوي، تعلق المخلوق بالخالق، وهذا التعلق بالله والالتجاء إليه هو التوكل.

لذا كانت المحجوبة عن رؤية نفسها المزهوة بجمالها أو علمها ... محجوبة عن ربها تحسب أنها مستغنية عن الله عز وجل: "كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ(٦)أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ(٧)" [العلق:٦-٧].

وطوق النجاة العودة إلى الله، وإلى حظيرة التربية الإيمانية والتي تمثل القدوة والصحبة – وقليل ما هم – ولا تخلو الأرض منهم ليس ذلك فحسب بل لتحتل الصدارة وتحظى بالأجر لتكون هي القدوة والمثل الأعلى بسلوكها وأقوالها، لأن معايشة المتوكلين على الله من أعظم ما يقوي القلب المتردد.

ولا يفوت المرأة أن تنهل من معين سيرة سيد المرسلين –ﷺ– روائع التوكل في أضنك الأوقات وأحرجها.

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء، فيذكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة[1]. فإن الموت الذي يتخطف الابن من أمه وأبيه، والأخ من أخيه ومن فصيلته التي تؤويه والثرى من ملايينه، لا يستأذن أحد، ولا يصده أحد.

وعليه؛ فإن المرأة الثاقبة الفهم هي دائمة الذكر للموت وسكرته، والقبر وغمته فهذا التأكيد القرآني في كتاب الله المسطور للموت يعطيها حافزاً قوياً للانسلاخ من حب الدنيا إلى الارتقاء والسمو والرفعة، فهي لا تتذكر فقط ولكنها تذكِّر.

وإن كان الكون كتاب الله المشاهد فيه صور أخرى للتذكير بالموت ولربما تكون أكثر وقعاً على النفس فموت الأم والأخ والابن والحبيب وأن ندفنهم صورة مؤثرة وحتى في عالم الكائنات الأخرى صور للتذكرة بالموت والفناء.

١٠- الصلاة:

يقول القرضاوي: إن الصلاة لحظات ارتقاء روحي تعينك على التعبير عما يشغل نفسك، بذمة وأمانة؛ فإذا أردت حلاً لمشكلاتك وجب أن تحركها على لسانك واضحة المعالم، حيث تبث شكواك إلى الله، فيشعرك بأنك لست منفرداً بحل مشكلاتك وهمومك[2].

---

[1] القرضاوي: التوبة، ص١٢٠.

[2] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٢٧.

"والأطباء النفسيون يجمعون على أن التوتر العصبي والتأزم الروحي يتوقف إلى حد كبير – على الإفضاء بمبعث التوتر إلى صديق حميم، فإذا لم نجد من نفضي إليه كفانا الله ولياً"[1].قال تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [البقرة: ١٥٣].

ويؤكد "الكسيس كاريل" على أهمية الصلاة التي تحفزنا للعمل والإقدام يقول: "الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت حتى الآن"[2]. هذا حال الصلاة في الديانات المحرفة فما حال الصلاة في ديننا.

---

[1] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٢٩.

[2] الكسيس، كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت – مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٨٦، ص ٣٠١.

المطلب التاسع: ثمار التربية الإيمانية

وبما أن الغرض من التربية الإيمانية مدارستها تربوياً فإن للتربية الإيمانية ثمارٌ وآثارٌ شتى ويراها القرضاوي بما يلي:

١- تحقيق الاتزان النفسي

يقول القرضاوي: من أعظم ثمار الإيمان الاتزان النفسي، فقد علمَ عِلم اليقين أن أمر الله نافذ لا محـال فلا تعبث به رياح القلق الذي أصبح آفة الحضارة المادية في هذا العصر[1]. فالمؤمن لا يعيش بين لو وليت الذي يفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها[2].

قال تعالى: "لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" [الحديد: ٢٣]. فينسى الإنسان أمسه ويعيش حاضره، ولا يخاف على مستقبله.

ويقـول ديـل كارنيجي: "لقد وجدت أن القلق لا يجدي شيئاً تماماً كما لا يجديك أن تطحن الطحين أو تنشر النشارة، ولا يجدي القلق إلا التجاعيد على الوجه وقرحة في المعدة"[3].

فالمؤمـنة لا تستسلم لسطوة الحزن على ما فات، ولا تفرح لما هو آت، ولا يحسب أحد أن المسلمة صلدة الإحساس عديمة الاكتراث، ولكن التأثر بالأحداث شيء والتفتت والجزع شيء آخر، والأخيـرة تقـود صاحبتها إلى الانكفاء على الذات والارتطام مع نواميس الخالق، فتفرز لنا أبداناً سقيمة وقلوباً قاحلة من الإيمان متسخطة على أقدار الله سبحانه وتعالى.

---

[1] القرضاوي: الإيمان بالقدر، ص٩٥.

[2] المرجع السابق، ص٩٦.

[3] كارنيجي: دع القلق وابدأ الحياة، ص١٧٣.

فبالتــربية الإيمانية وحدها تستطيع المرأة أن تتسامى فوق مستويات الحزن والتمزق النفسي للارتقاء في سلم الإبداع التربوي، مؤمنة بقوله تعالى: "قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" [التوبة:٥١].

ويقول دانيل: إن الجنوح نحو عاطفة السخط أساس للكثير من مشاكل كل فرد منا لأنه يدمر الذهن ويهدد الصحة الجسمانية بأخطار كثيرة[١].

ويؤكد الخطيب ذلك: "إن تبني الأفكار غير الموزونة من خلال استرجاع الخبرات والأحداث الماضية يكون من نتيجته سلوك غير مرغوب فيه، ومشكلات نفسية[٢].

وبما أن تربية الأبناء يقع الشطر الأكبر منها تحت مسؤولية المرأة وليست مجرد عمل إنساني أو التزام أخلاقي، بل واجباً دينياً ينبثق من عقيدة المسلم وإيمانه التي تجعله يرى الطفل أمانة"[٣]. فمن أبرز هذه الحقوق للطفل أن ينشأ في عش يغمره الاستقرار والسكينة النفسية، ومن العسير تحقيق هذا المطلب إلا في ظل امرأة تمتلك رصيداً من الإيمان ليكون طاقة ووقوداً يمدها بسكينة النفس لينتقل أثر تلك الطاقة إلى الأبناء والزوج، فنعمة الطمأنينة أبرز مظاهر هذه السكينة وقد يحسب البعض أن الطمأنينة أن تكون المرأة بليدة الإحساس، ولكن طمأنينة الإيمان شيء، والغفلة شيء مغاير، فلربما تكون المرأة المسلمة الأكثر إحساساً بالآلام ولكنه ألم فعال ويرى محمد الشريف: إن الألم حافز على التخطيط للمستقبل والعمل، ليحمي المسلم نفسه من إخطار الدنيا

---

[١] جـولمان، دانيــيل، الـذكاء العاطفــي، تــرجمة ليلى الجبالي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ط١، ٢٠٠٠م، ص٧٨.

[٢] الخطيب، الحديدي، تعديل السلوك، ص٤١.

[٣] الإبــراهيم، محمــد عقلــة، أثر غياب التربية الإسلامية في المشكلات التي يتعرض لها الطفل، نحو بناء نظرية تــربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٤-٢٧ تموز، ١٩٩٠م جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، الأردن – عمان، ١٩٩١م، ص١٥٠.

والأخرة، فيتحول الألم إلى دافع للسعادة والطمأنينة[1]. وإن فقدان الإحساس بالألم يجمد الهمة، ويكون من نتيجته التخلي عن معركة الحياة لتفقد المرأة حضورها في ساحة نفسها وبيتها وأمتها.

٢- الاتجاه إلى العمل والبناء:

وبعد شعور المؤمن القوي براحة النفس والرضا بقدر الله وطمأنينة الإيمان، لا يجد سبيلاً إلا: الاتجاه إلى الإيجابية والبناء، والعمل المتميز في تزكية النفس، وعمارة الأرض، وإصلاح المجتمع وهداية العالم[2].

فهذا شأن المؤمن القوي والذي جاء به الحديث الصحيح: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعِن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**"[3].

فالمسلم لا يتخذ مبرره وعجزه الاتكاء على فهم مغلوط للقدر، ومن دلائل العجز كثرة الإحالة على القدر فلا بد للمرأة المسلمة أن ترفض الموقف السلبي الإنسحابي الذي يعني الانكسار والانعزال. يقول عماد الدين خليل: "إن الإسلام لم يرد لنا يوماً أن نعتزل عن الحياة ونتخذ إزاءها موقف السلب والفرار، بل الإسلام حركة جهاد دائمة لتغيير العالم فقد دعانا إلى النزول إلى الساحة من أول لحظة"[4].

---

[1] الشريف، محمد كمال، سكينة النفس تأملات نفسية إسلامية، دمشق -دار ابن كثير، ط١، ١٩٩٦، ص٢٢-٢٣.

[2] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١١٩.

[3] رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤.

[4] خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص١٩.

وهذه الحقيقة قد يعتريها اللبس من فئة مالت إلى الاستكانة والعجز وقصور فهم لحقيقة هذا الدين، وقد سئل الرسول ﷺ عن مشروعية التداوي فقيل: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به، ونقاة نتبعها، هل ترد من قدر الله شيئاً، فقال: هي من قدر الله[١].

وعليه، فإن التوكل والأخذ بالأسباب هما عنصرا النجاح في العمل فلا يجوز التنازل عن واحد دون الآخر.

ويؤكد ذلك ابن تيمية بقوله: "... من ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجبه الله، وأخل بواجب التوحيد، والسبب المأمور به لا يتنافى وجوب التوكل"[٢].

فالأصل، الجمع بين التوكل وتحصيل الأسباب وإلا جعل العبد توكله عجزاً، وعجزه توكلاً وهذا ما يتنافى مع الحكمة والشرع[٣].

ويؤكد القرضاوي أهمية العمل والبناء فيقول: "والمسلم مطالب بالعمل للحياة إلى أن تلفظ الحياة آخر أنفاسها فهو مطالب بالعمل لأنه عبادة وجهاد"[٤]. والذي أرى – والله أعلم – أن المرأة أحوج ما تكون إلى هذه الثمرة التربوية، لتكثّف من معطياتها الإبداعية والتربوية والحضارية. وذلك من خلال الفاعلية والحركة والبناء فتكون نموذجاً يحتذى به وحجة على المتقاعسين والمتواكلين بالجهر والخفاء.

---

[١] رواه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية حديث رقم ٢١٤٤، ج٦ ص٢٣٢، وقال حديث صحيح.

[٢] ابن تيمية، أحمد، مكارم الأخلاق، تحقيق عبد الله بدران، عمر الحاجي، دار الخير، ط١، ١٩٩٤، ص٣٢م.

[٣] ابن قيم الجوزية، شمس الدين، دار المعاد في هدي خير العباد، تحقيق حمدي بن محمد، مكتبة المورد، ط١، ٢٠٠٢م.

[٤] القرضاوي: مدخل لمعرفة الإسلام، ص٢١٢.

٣- الانتصار على النفس الأمارة بالسوء

ومن ثمرات التربية الإيمانية: انتصار الإنسان على شهوات نفسه، التي تدفعه بما رُكب فيها مـن غرائـز ودوافع فطرية إلى مقاومة الشر والمعصية[١] وهي النفس التي سماها القرآن بالأمارة بالسوء، حين قال على لسان يوسف عليه السلام: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي" [يوسف:٥٣].

وهـذه الصيغة "أمـارة" تدل على المبالغة والكثرة فهي دائمة الأمر بالسوء، والاغواء به والتحريض عليه، وكثيراً ما يضعف الإنسان أمام إغراءاتها وتحريضاتها، فتهوى به إلى الهلاك فلا بـد مـن مجاهدتها، ورياضتها حتى تتزكى[٢]. فتصلح كما قال تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠)" [الشمس:٧-١٠].

وبهذا ينتقل من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة، التي ذكرها القرآن الكريم في مطلع سورة القـيامة حيث قال: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(٢)" [القيامة:١-٢]. "اللوامة" صيغة مبالغة فهي كثيرة اللوم لصاحبها كلما ارتكب شراً أو هي ما يعبر عنه الضمير الحي، وهي التي لا

---

[١] القرضاوي: التوبة، ص٢٢٩-٢٣٠.

[٢] المرجع السابق: ص٢٣٩.

تــزال تلــوم صـــاحبها حتـــى تدفعه إلى التربية المنشودة فقد ترتقي هذه النفس حتى تصبح النفس المطمئنة[1] في قوله تعالى: "يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً" [الفجر:٢٧-٢٨].

ولا ريب أن المرأة التي ربت نفسها حتى وصلت إلى هذه التربية قد انتصرت في المعركة الكبيرة من الداخل والخارج فهي محتاجة إلى تأهب واستعداد للجهاد والبذل المستمر.

٤- سكينة النفس

إن سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة، ومصدرها الإيمان الصادق الذي لا يكدره شك، ولا يفسده نفاق، وهي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض، ليثبتوا إذا اضطرب الناس، ويرضوا إذا سخط الناس، فهي ثمرة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة[2].

قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ" [الفتح:٤].

والمؤمن أولى الناس بسكينة النفس، وطمأنينة القلب لأسباب:

أ- استجابة المؤمن لنداء الفطرة يقول القرضاوي: "إن في الإنسان فراغاً" لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جل وعلا، وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والظمأ، حتى تجد الله، وتؤمن به"[3].

---

(١) المرجع السابق: ص٢٤٠.

(٢) القرضاوي: الإيمان والحياة، ص٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص٩٦.

ويقول ابن القيم رحمه الله:

"في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه. وفيه نيران حسرةلا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة أبداً"[١].

وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الدنيا وغبار الحياة، وقد تنحرف باتباع الظن أو باتباع الهوى، أو التقليد الجاهل للأجداد، أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء. وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجب ويظن نفسه شيئاً يقوم وحده فيستغني عن الله[٢] هذه الفطرة التي استحوذ على صاحبها الدنيا.

"بيد أن الفطرة الأصلية تذبل ولا تموت، فهي حقيقة أجمع عليها الباحثون في تاريخ الأمم والأديان والحضارات، فقد وجدوا الإنسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بالله، حتى قال أحد المؤرخون: "لقد وجدت في التاريخ مدناً بلا قصور ولا مصانع، ولا حصون، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد"[٣].

---

[١] ابن القيم: مدارج السالكين، ص٨٨.

[٢] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص٩٨.

[٣] المرجع السابق: ص٩٩.

ب- المؤمن يعيش في معية الله، يقول القرضاوي: "إن المؤمن لا يعتريه مرض القلق والوحدة هذا المرض الذي يجلب لصاحبه العزلة، وفقدان الثقة وبالتالي انحطاط الإنتاج"[1]. ولكن الدين هو العلاج الناجع لهذا المرض فكيف يشعر بالوحدة من يسمع نداء خالقه في كتابه العزيز: "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [البقرة: ١٢٥]

وكيف يشعر بالوحدة من اتخذ نبيه عليه الصلاة والسلام مثلاً يحتذى ففي أضنك الساعات في الغار يقول لصاحبه "إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" [التوبة: ٤٠].

ويقول أديب غربي عن كلمة يستقبل بها عاماً جديداً: قلت للرجل الواقف على باب العام: أعطني نوراً أستضيء به في ظلمات الطريق، قال: ضع يدك في يد الله فإنه يهديك إلى سواء السبيل"[2].

ج- أنس المؤمن بالوجود كله، يقول القرضاوي: إن المؤمن يعيش موصولاً بالوجود كله، فليس هذا الكون عدو له، ولا غريب عنه، إنه مجال تفكره واعتباره، ومسرح نظره وتأملاته ومظهر نعم الله وآثار رحمته، فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه وسع العالمين المنظور وغير المنظور، وعالم الشهادة وعالم الغيب، ... وليس هناك أضيق من صدر الشاك في الآخرة إن حياته أضيق من سجن، إنه يعيش معزولاً عن الأزل والأبد، عن الأمس والغد، وهو يعيش معزولاً عن الوجود العريض، لا يرى منه إلا شخصه، ولا يرى

---

[1] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٢٣.

[2] المرجع السابق، ص١٢٥.

من شخصه إلا جسمه المادي ودوافعه الأخرى"[1]. قال تعالى: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا" [طه: ١٢٣-١٢٤].

فالإيمان بالله وبالغيب يرفع الإنسان من الحيوانية إلى الإنسانية، ومن الطفولة إلى الرشد، لأنه يرتفع بالإنسان من المحسوس إلى المعقول ومن المنظور إلى غير المنظور، ومن عالم الشهادة إلا عالم الغيب[2].

فالقلب يتسع وينشرح بنور الإيمان، وينكمش بالشك والبعد عن الله. قال تعالى: "فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا" [الأنعام: ١٢٥].

فالمرأة المؤمنة رحبة الصدر واسعة القلب لأنها خرجت من دائرة الذات الضيقة إلى دائرة ملكوت الله الواسعة. ويقول عماد الدين خليل: إن الإسلام في تصوره للعلاقة بين الإنسان والعالم يرسم خطاً يقوم على الوئام والانسجام والتجانس والالتحام بين الجماعة المؤمنة والعالم، إنها علاقة الخادم المطيع مع السيد القدير الذي يستخدمه بحصافه وذكاء لتأدية واجباته جميعاً في أجواء تسودها علائق الطاعة والمحبة والإبداع[3].

---

[1] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١٢١.

[2] المرجع السابق، ص١٢٢.

[3] خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص١٢٧.

د- وضوح الغاية والطريق عند المؤمن، ويرى القرضاوي أن المؤمن لا تنازعه غايات شتى ولا هموم كثيرة فلا يعيش في صراع داخل نفسه، وحيرة بين غرائزه الكثيرة، أي يرضي، غريزة البقاء، أم غريزة النوع، أم ... الخ، فقد جعل المؤمن همومه هماً واحداً، وهو سلوك الطريق الموصل إلى مرضاته تعالى[1] وهو طريق لا عوج فيه ولا التواء: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" [الأنعام: ١٥٣].

وهناك مغايرة بينة، بين رجلين: أحدهما عرف الغاية وعرف الطريق فاطمأن، وآخر يتخبط في تيه وركام يبحث عن لا شيء[2].

قال تعالى: "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [الملك: ٢٢].

٦- تكفير السيئات ودخول الجنات:

وإن كانت هذه نتيجة أخروية آجلة ولكن المسلمة تحقيقاً لمبدأ الوحدة بين الدنيا والآخرة تراها الأهم وأهم هذه الثمرات كسب المغفرة للفوز بجنة الخلود: ولقد أمرنا الله في كتابه بالمسارعة إلى مغفرة من ربنا، وإلى جنة عرضها السموات والأرض: وأن المتقين ليسوا ملائكة أطهار، ولا أنبياء معصومين، ولكنهم بشر من خلق الله، يصيبون ويخطئون، بيد أن مزيتهم على غيرهم، أنهم لا

---

[1] القرضاوي: الإيمان والحياة، ص١١٥.

[2] المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.

يتمادون في الخطايا، بل سرعان ما يعودون لربهم طالبين عفوه وراجين رحمته[1] قال تعالى: "

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥)"

[آل عمران: ١٣٣-١٣٥]

إن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلاً، بل إن الاستغفار باللسان أيضاً حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه[2].

فما أحوج المسلمة للتربية بالاستغفار حيث تضع سلوكها وحتى خلجات قلبها على مشرحة الإسلام لتعدّل سلوكها وتطهر قلبها لأن ذلك ثمرته إنسانة صالحة تسهم في بناء مجتمع صالح للرفعة والسمو في الدنيا والآخرة.

---

(١) القرضاوي: التوبة، ص٢١٧.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٤٨.

الفصل الثالث: التربية الاجتماعية للمرأة

المطلب الأول: إعداد المرأة بنتاً وزوجة وأماً

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه المرأة

المطلب الثالث: قضايا وشبهات وردود القرضاوي عليها

المطلب الرابع: قصور العمل النسوي في المجال الدعويّ

تمهيد:

إن التربية الاجتماعية هي إحدى الثمار الحقيقية للتربية الإيمانية تلك التي تُعد الفرد الصالح ليكون حجر الأساس لبناء مجتمع صالح، فالعلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة تبادلية من العسير فصلها.

ومن البديهي أن يُعني الإسلام (بالأسرة) المدرسة التربوية الأولى عناية خاصة وبالمرأة تحديداً أهم عناصرها والتي يخرج من دفء أمومتها الأبناء الصالحون والبنات الصالحات، ولا حاجة لبسط القول أو التدليل أن الراصد للمتغيرات الاجتماعية لقضايا المرأة في العقود الأخيرة يشاهد ويسمع المستهجن والغريب من المغرضين ومن ناصرهم.

والقرضاوي يرفض الموقف السلبي الإنسحابي فنجده يتصدى لقضايا المرأة بالحجة الدافعة النابعة من قلب الإسلام، ومن الصورة المشرقة التي تجسدت في روادنا في عصور النقاء الاسلامي، وسأتناول في هذا المبحث معالم التربية الإجتماعية كما قدمها القرضاوي.

ففي المطلب الأول سأتناول إعداد المرأة بنتاً وزوجة وأماً.

وفي المطلب الثاني: سأتناول التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه المرأة.

وفي المطلب الثالث: سأتناول بعض القضايا والشبهات المثارة على الساحة الاجتماعية وردود القرضاوي عليها.

وفي المطلب الرابع: سأتناول قصور العمل النسوي في الميدان الدعوي.

التربية الاجتماعية وعلاقتها بالدين:

تعرف التربية الاجتماعية بأنها: "تلك التربية التي تهدف إلى تعلم الفرد كيف يتعامل مع الآخرين، وكيف يكوّن معهم شبكة من العلاقات الاجتماعية؛ بهدف تأكيد قيمة التعاون الاجتماعي بين الأعضاء"[1].

أما عن علاقة الدين بالتربية الاجتماعية: "فإن العلاقة بين الدين والسلوك الاجتماعي علاقة وثيقة وعميقة الصلة فمن خلال تركيز الدين على مثل أخلاقية كالحلال والحرام والخير والشر والثواب والعقاب..، فإنه يدخل بعمق في حياة المجتمع ولهذا؛ فقد حظي الدين باهتمام الدراسات الاجتماعية في حقل علم الاجتماع"[2]. "وساهم الإنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراسته في توضيح ما للدين من أهمية من خلال ما يمارسه من وظيفة هامة في تدعيم التماسك الاجتماعي وضبط سلوك الأفراد"[3].

ويؤكد القرضاوي أهمية الجانب الاجتماعي في الإسلام فيقول: "الإسلام دين اجتماعي، فهو يسعى إلى إنشاء المجتمع الصالح سعيه إلى تكوين الفرد الصالح، بل يرى أن صلاح المجتمع لازم لصلاح الفرد لزوم التربية الخصبة لإنبات البذور ونموها، والفرد المسلم إنساناً في جماعة، حتى عبادته لربه فقد دعاه إلى أن تكون في صورة جماعية ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام وتأكدت

---

(1) الجمل، علي، اللقاني، أحمد، معجم مصطلحات التربية، القاهرة – عالم الكتب، ط١، ١٩٩٦، ص٥٤.

(2) النوري، قيس، طبيعة المجتمع البشري، بغداد – مطبعة أسعد، ط١، ١٩٧٠، ص٢٣٣-٢٣٤.

(3) الحسن، إحسان محمد، علم الاجتماع الديني، بغداد – مطبعة الرسائل، ط١، ١٩٩٤، ص٢٠٠.

أهميتها، وحتى المسلم حين يناجي ربه تظل روح الجماعة متمثلة في ضميره داعياً "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)" (الفاتحة: ٥-٦).

والقرآن يخاطب المكلفين بروح الجماعة "يا أيها الذين آمنوا".

والرسول ﷺ يدعو بأبلغ الأساليب إلى كل عمل نافع ينفع المجتمع بل ويقدمه على نوافل العبادات، ويفرض على كل مسلم صدقة يومية يؤديها خدمة للمجتمع ولو كانت إماطة للأذى عن الطريق، أو كلمة طيبة، أو تبسم الإنسان في وجه أخيه"[١].

والتربية كما يراها العمايرة "عملية اجتماعية تهدف أقصى قدر إلى تكييف الفرد مع ذاته ومع مجتمعه وتحقيق النمو السليم لكل من الفرد والمجتمع على حد سواء"[٢]. وحتى تؤتي التربية الاجتماعية ثمارها لا بد أن تسبقها تربية إيمانية ونفسية عميقة للمرأة لتكون لها طاقة تمنحها القدرة على التكيف مع ذاتها ومجتمعها. وإن كنا قد تناولنا في المبحث الأول التربية الإيمانية للمرأة فإننا سنتناول في هذا المبحث بعض عناصر التربية الاجتماعية للمرأة.

---

[١] القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٦١-٦٣.

[٢] العمايرة، محمد حسن، التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية، عمان – دار البشير، ط٤، ٢٠٠٥م، ص٢١٣.

المطلب الأول: إعداد المرأة بنتاً وزوجة وأماً

إن تربية المرأة وإعدادها بنتاً وزوجة وأماً أول ما يكون نواته في المدرسة التربوية الأولى "الأسرة"، واعتبر الإسلام إنشاءها من أفضل الأعمال المقربة إلى الله، وبما أن المرأة حارسة هذا الحصن وتمثل شطره الأكبر نجد عناية الإسلام بها عناية خاصة بحيث تعود إلى سلامة فطرتها ورسالتها العظيمة ابنة بارة، وزوجة صالحة، وأماً فاضلة.

وهناك جوانب عديدة يقدمها القرضاوي للمرأة في مجال التربية الاجتماعية يمكن أن نجملها بالآتي:

أولاً: الزواج: أهدافه وإزالة معوقاته

إن الإسلام عني عناية بالغة بالحياة الزوجية لتقوم على الأسس المتينة التي تظللها السعادة والمودة والرحمة – فأساس الأسرة حتى في كل المجتمعات الإنسانية – هو الزواج الذي وضع له الإسلام أهدافه، وأزال معوقاته، وبين حقوقه وواجباته.

ويرى القرضاوي أن أهداف الزواج تبرز فيما يلي:

- سبب عمارة الكون ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل:٧٢) والحفدة هنا معناها استمرار النوع البشري نتيجة هذه العلاقة الشرعية.

- أساس السكون والمودة والرحمة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١).

- سبب في ارتباط أسرتين معاً وهو ما نسميه بالمصاهرة يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل:٧٢) والنسب رابطة الدم، والصهر رابطة تأتي من الزواج فهذه المصاهرة تعمل على ترابط المجتمع بعضه ببعض.
- تحقيق المتعة الجسدية والتي أباحها الإسلام حتى في أيام التعبد وفي ليالي الصيام: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)[١].

ولكن ليس الزواج ارتباط جسد بجسد ولكن ارتباط إنسان بإنسان وروح بروح، لذا كان حرص الإسلام على سلامة الإنتقاء ومعرفة كل طرف حقوقه وواجباته.

تيسير الزواج

إن الهدف المرجو تحقيقه هو بناء البيوت السعيدة الصالحة، وإحدى البدائل الرشيدة المطروحة للوصول لهذا الأمر تيسير الزواج والتغلب على معوقاته. ومن المعينات على ذلك كما يراها القرضاوي:

أ. "تشجيع الزواج المبكر، وتهيئة الأسباب المعينة عليه"[٢] وعليه: لا بد من القيام بدراسات ميدانية تربوية تفند أو تؤكد نتائج الدراسات التي تعزو أسباب كثرة الطلاق للزواج المبكر للوقوف على الأمر بكل إنصاف وموضوعية وبرؤية جديد تدعم المفاضلة الرشيدة بين البديلين للوصول إلى حلول صائبة.

---

[١] القرضاوي: يوسف، حقوق وواجبات الأسرة في الإسلام، ١-٩-٢٠٠٤م، برنامج الشريعة والحياة، www.ALJAZEERA.net

[٢] القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٦٥.

وهنا تنقدح التساؤلات التالية:

١. هل تأخير سن الزواج يملك حلاً سحرياً – كما يزعم البعض – يسهم في الحد من الطلاق وبناء أسرة بعيدة عن الهزات والقلاقل؟

٢. هل الزواج المبكر مكمن الخلل خلف بيوت متصدعة تقوم على أسس واهنة تكون عرضة للطلاق؟

٣. ماذا أعدت وسائط التربية لإعداد الابن زوجاً وأباً صالحاً ومن نشأته الأولى.

والبنت زوجة وأماً قادرة على القيام بمسؤولياتها المنوطة إليها؟ وهل مناهجنا تراعي في أبجديات أولوياتها المغايرة في تعليم العلوم الإنسانية الفرق بين الإناث والذكور لإعدادهم للغد الآتي فإن أحلام اليوم حقائق الغد.

وهب جدلاً أن الوسائط التربوية تخلت أو تقلصت وظيفتها وباتت معولاً للهدم والتدمير بدل أن تكون أداة للعمل والبناء فهل يلقي الدعاة والمربون عصا الصراع والتسلح بلا رأي لمن لا يُطاع.

ب. عدم الانصياع للتقاليد الاقتصادية والاجتماعية التي تعسر الزواج، من غلاء المهور، والغلو في التأثيث والإسراف في متطلبات الأعراس فهناك حفلة أولى وثانية وثالثة، على آخر ما عقده الناس وعسّروه على أنفسهم، فعسّر الله عليهم[١]. وقد يغفل أولوا الأمر أن حياة العفة ولو كانت على "حصيرة" خير من أن نترك فلذات أكبادنا تصليهم نار الفتن في العاجل، ونار جهنم في الآجل.

---

[١] القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٦٥.

ج. أن لا يتشدد الآباء في تزويج بناتهم فإذا تقدم الخاطب الذي يُرتضى دينه وخلقه أن لا يغلق باب الحلال في وجهه تحت ذرائع غير مبررة ومقنعة؛ ظروفه المادية، لا يحمل نفس الجنسية وخصوصاً في بلاد الخليج حيث يرى الأب أن المواطن هو الأحق[١].

ويضيف القرضاوي قائلاً: لقد رأيت حينما كنت أدرس في الجامعة عشرات الفتيات من خير العائلات ولا ينقصهنّ الثقافة والجمال والأخلاق والدين ومع هذا لا يتزوجن، فتعقيدات المجتمع هي التي أخرت هذا الزواج، علماً بأن الأصل أن يحمل الأب هم ابنته إذا كبر سنها ولم يأتها الرجل، وكان بعض الصحابة يعرض ابنته على الغير كما فعل سيدنا عمر رضي الله عنه، فإنني أنصح الآباء أن لا يعسروا زواج بناتهم وليس ذلك فحسب بل أن يُنظر في القوانين التي فيها نوع من التزمت كما في بلاد الخليج على سبيل المثال لا الحصر[٢].

---

[١] المرجع السابق، ص٦٦.

[٢] القرضاوي، يوسف، موقف الشرع من المطالبة بتغيير قوانين الأسرة، ١-٩-٢٠٠٤م. برنامج الشريعة والحياة.
www.AL-jAZEERA.net

ثانياً: وحدة الإنسانية للمرأة والرجل

ويؤكد القرضاوي: أن الإسلام كرَّم المرأة فلم ينكر إنسانيتها كما زعم البعض، ولم يعتبرها مخلوقاً خلق لخدمة الرجل كما زعم آخرون، وأن المرأة والرجل ليس ندين ولا متنافسين ولا متخاصمين، بل متحابين متعاونين متعاطفين[1].

ويؤكد في أكثر من مؤلف على مساواة الرجل بالمرأة من حيث:

أ. أصل النشأة ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

ب. التكاليف الشرعية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٣٥).

ج. الجزاء والمصير ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ (آل عمران:١٩٥)[2].

فإذا كانت المرأة مساوية للرجل من حيث أصل النشأة، والتكاليف الشرعية، ووحدة المصير فإن الشبهات المثارة ما هي إلا شبهات مغرضة لاختراق حصن عقيدتها وتلويث نقاء وشفافية

---

[1] يُنظر: القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص٣٢١.

[2] يُنظر: القرضاوي، مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص٩.

أنوثتها بل إن الإسلام رفع من شأن المرأة واعتبرها من هبات الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ الشورى:٤٦ وقد قدّم هنا في الآية الإناث على الذكور.

ثالثاً: الدعوة للتعلم

الإسلام يدعو المرأة للتعلم ونبذ الجهل ولا مجال في الإسلام لدعوى التعارض بين الإيمان والعلم، الإيمان في الإسلام علم، لأنه لا يعتمد على الوجدان وحده، بل يقوم على النظر ورفض التقليد، والاعتماد على البرهان العقلي لا على الظن واتباع الهوى[1] قال تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الإسراء: ٣٦). لذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فريضة عينية أو كفائية تبعاً لحاجة الفرد أو حاجة الأمة.

"ويجمع العلماء على أن المسلمة فرض عليها أن تتعلم ما يصحح عقيدتها، ويقوّم عبادتها، ويضبط سلوكها بآداب الإسلام في اللباس والزينة وغيرها وليس لزوجها أن يمنعها من طلب العلم الواجب عليها، إذا لم يكن هو قادراً على تعليمها أو مقصراً فيه"[2].

فالعلم ليس خصماً للإيمان بل هو الطريق إليه، واللحمة الوثقى بين الإيمان والعلم من العسير فصلها، والأصل أن هناك تناسباً مطرداً بينهما، فالرسوخ في أحدهما يدعو المرأة إلى النهوض بالآخر.

فالمرأة لن تحقق حضوراً اجتماعياً إلا إذا أثرت الجانب المعرفي، ولن يقبل المجتمع في ظل هيمنة المعرفة والقوة المادية بامرأة جاهلة.

---

[1] القرضاوي، يوسف، الدين في عصر العلم، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦ ص٢٤.

[2] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٤٣.

رابعاً: المرأة والانتقاء الحضاري[1]

وبعد أن أصبح العالم قرية صغيرة وبات احتلال فكر المرأة وقلبها مقدماً على الاحتلال العسكري، ثمة ما نرى من تفتح الباب على مصراعيه للثقافة الوافدة، وأخرى تؤثر الانسحاب والتقوقع والذي ربما يكون من نتيجته رفض كل جديد وإن كان مفيداً.

ويرى القرضاوي: "أن الاتجاه الغالب للتعامل مع التقاليد الوافدة تياران متنازعان: تيار التزمت وإغلاق الباب، وتيار آخر يفتح الباب لتقليد المرأة الغربية تقليداً أعمى"[2].

ويؤكد القرضاوي أن المؤمن لا يقف موقف المتشنج من المستجدات العصرية بمختلف مجالاتها بل يقتبس منها – بإذن من شريعته نفسها – ما وجد فيه لمصلحة دينه ودنياه"[3].

ويبين ذلك لمسلمة الغد فيقول: إن مسلمة الغد لا بد أن تعود لإسلامها بثقة ويقين، وأن تقف من الحضارة الوافدة موقف الأصيل الذي يتخير وينتقي هذا لا يصلح لي، وهذا لا بأس[4].

فهناك مساحة من الثابت في الإسلام والتي تتضمن العقائد والقيم..، ولكن المساحة الأكبر فيه للمتغير والذي تتجلى فيه خاصية المرونة وقدرته على استيعاب متغيرات الزمان والمكان.

---

[1] مصطلح الانتقاء الحضاري يقصد به: القدرة على الانتقاء والتمحيص وحسن الاختيار للداخل إلينا من الآخر لمزيد من التوسع يُنظر خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم. مرجع سابق.

[2] القرضاوي: مسلمة الغد، ص٤.

[3] القرضاوي: بينات الحل الإسلامي، ص٦٨.

[4] القرضاوي: مسلمة الغد، ص٣٣.

ويؤكد عماد الدين خليل على ضرورة الانتقاء فيقول: "فلم يكن العقل المسلم يرفض معطيات غيره، ولكنه في الوقت نفسه لم يقبلها في الكلية، لقد كان يملك في تركيبه الخاص، ومن خلال منظوره العقدي المقاييس الدقيقة للأخذ والرد من خبرات الآخرين، فلم يكن مجرد اقتباس ولكنه هضم"[1].

وعليه: فإن على المرأة أن تمتلك من النصاعة الفكرية والوضوح العقدي ما يسمح لها بالانفتاح على الآخر، وحيث كان له السبق علينا أشواطاً في الكثير من العلوم: كالعلوم الأسرية، وعلم نفس الطفولة...، فبإمكانها الإفادة من النتاج الغربي في هذا المجال؛ لتثري خبراتها ومعارفها بما ينعكس عليها وعلى محيطها؛ فالانغلاق يطفئ نور الإبداع ويغلق باب الاستزادة من كل مفيد.

---

[1] خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٦٦.

سادساً: التربية الجمالية

ونظراً لأهمية التربية الجمالية للمرأة المسلمة في الواقع المعيش؛ فإنني أرى من الضرورة الإشارة إليها. يقول القرضاوي: اباح الإسلام للمسلم بل طلب إليه أن يكون حسن الهيئة كريم المظهر جميل الهندام متمتعاً بما خلق الله من زينة ثياباً وريشا[1]. قال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا" [الأعراف:٢٦].

وقبل أن يعنى الإسلام بالزينة وحسن الهيئة وجه عناية أكبر إلى النظافة فإنها الأساس لكل زينة حسنة، وكل مظهر جميل[2].

ومما حث عليه السلام على نظافة وجمال الثياب، والأبدان والبيوت، والطرق، والرأس[3].

وأكد الحث على النظافة والتجميل في مواطن الاجتماع مثل الجمعة والعيدين فقال "**ما على أحدكم – إن وجد سعة – أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته**"[4].

فالإسلام دين يحرص على تحقيق كل نظيف وجميل للمسلم من الداخل والخارج ولكن من غير غلو أو تطرف فلا تصبح المرأة وسيلة إعلامية لتحقيق مطالب مادية أو أن تصبح مصدراً للعبث أو للانحطاط الخلقي.

---

[1] القرضاوي، يوسف، الحلال والحرام، الدار البيضاء – دار المعرفة، ط١، ١٩٨٥، ص٧٩.

[2] المرجع السابق: ص٨٠.

[3] المرجع السابق: ص٨٠.

[4] رواه أبو داوود ت٧٧.

وقد رفض الغلو في الزينة إلى الحد الذي يفضي إلى تغيير خلق الله، الذي اعتبره القرآن من وحي الشيطان، الذي قال عن أتباعه: "وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ" [النساء: ١١٩][1].

وحرم الإسلام وشم الأبدان، ووشر الأسنان، وقد لعن الرسول ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواشرة والمستوشرة[2].

ولذلك حرم الإسلام ترقيق الحواجب فهو من الغلو في الزينة التي حرمها الإسلام، وكذلك وصل الشعر[3].

"وحرم الإسلام الأصباغ والمساحيق التي تستعملها المرأة في عصرنا للخدين والشفتين والأظافر ونحوها فإنها من الغلو المستنكر ولا يجوز أن تستخدم إلا داخل البيت فتبرج المرأة وتزينها داخل بيتها أمر مشروع"[4].

بيد أن المسلمة لا تقف من مستجدات الواقع وتحدياته موقف الرفض والإنكسار ولكنها تقتنصها لتسخيرها لها لا لتسخَّر هي لها فلماذا لا تستفيد المرأة المسلمة من المستحدثات الجمالية في اللباس والمساحيق، لتكون اكثر نضارة وتألقاً لزوجها فتنقل التبرج من دائرة الحرام إلى دائرة الحلال من الشارع إلى البيت وفق معايير الإسلام وضوابطه، على أن لا يكون جمال الجسد وحده بل لا بد أن يغذيه جمال الروح وخاصة أمام هذه الثورة المسعّرة للرفع من قيمة الجسد حتى يكاد

---

[1] القرضاوي: الحلال والحرام، ص٨٨.

[2] المرجع السابق، ص٨٩.

[3] المرجع السابق، ص٩٠.

[4] القرضاوي، يوسف، حرمان المرأة من العمل السياسي .. شبهات وردود، ١٨-ديسمبر-٢٠٠٤م.

الجسد وثن يعبد. فكم نسمع ونشاهد الدعايات الإعلامية للمحافظة على رشاقة الجسد ونضارته وإعادة حيويته، وقلما نرى أو نلحظ من يولي جمال الروح القليل من الاهتمام. علماً بأنه الجمال الخالد.

فلا بد للمرأة من الإحاطة بفكرة التوازن التي أقام عليها الإسلام نظرته الكلية للإنسان والكون والحياة.

يقول الهاشمي: إن شخصية المرأة المسلمة المعاصرة فيها كثير من التناقضات والمبالغات وإفراط في حياتنا وتفريط في جانب آخر؛ كأن تجد المسلمة صالحة تقية تقوم بشعائر دينها ولكنها تتساهل في أخذها بأسباب النظافة في فمها وجسمها، فلا تأبه بجمال بجسدها، أو تجدها معتنية بجمال ونظافة جسمها ولكنها مقصرة في عبادتها وقيامها بشعائر دينها[1].

---

[1] الهاشـمي، محمـد علي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام، بيروت - دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٤، ص٦.

سابعاً: الجوانب الاجتماعية التي يركز عليها الحل الإسلامي

ويرى القرضاوي أن على دعاة الحل الإسلامي أن يولوا النواحي الاجتماعية المتعلقة بالمرأة والأسرة عناية خاصة.

فيقول: فالأصل أن يعنى الحل الإسلامي بالنواحي الاجتماعية، ويوليها اهتماماً يليق بها.

وينبه في هذا الجانب مع أهميته القصوى على النقاط التالية:

١. **الاهتمام بشأن المرأة المسلمة:** بحيث تعود إلى فطرتها الأصيلة، ورسالتها الجليلة، فتاة مهذبة، وزوجة صالحة وأما فاضلة تعنى بالبيت قبل الشارع، وبالمخبر قبل المظهر، وبأداء الواجبات قبل طلب الحقوق.

٢. **العناية بالطفولة:** صحياً ونفسياً ودينياً، ومعونة كل أسرة عاجزة عن رعاية أطفالها رعاية كاملة، والعمل على إيواء المشردين، بحيث لا يوجد "ابن سبيل" إلا ويصبح ابن بيت، وأن تهيأ لهم سبل التعلم والرياضة والفروسية، ومنع تشغيل الأطفال الذين لا تبلغ أعمارهم أثنى عشر عاماً ليتاح لهم حق التعلم والتمتع بالطفولة المرحة.

٣. **العناية بالشباب** الذي هم عدة الحاضر، وذخيرة المستقبل، والعمل على إعدادهم إعداداً متكاملاً، بدنيا بالرياضة، وروحياً بالعبادة، وعقلياً بالثقافة، وخلقياً بالفضيلة، وعسكرياً بالخشونة، واجتماعياً بالخدمة العامة[1].

---

[1] القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٦٣.

٤. **مقاومـــة موجة التخنث والتحلل والتقليد الأعمى** الذي افقد الشباب المسلم شخصيته في زيه ومظهـــره، وفـــي سلوكه ومخبره، بحيث يتوارى من المجتمع أولئك المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

٥. **مـــنع الاختلاط بين الجنسين في مجالات التعليم والعمل والترفيه**، إلا ما اقتضته الضرورة، فـــيقدّر بقـــدرها، مع مراعاة الأدب والاحتشام. وتشديد النكير على استغلال أنوثة المرأة في القيام ببعض الأعمال التي هي أليق بطبيعة الرجال.

٦. **إعطـــاء عـــناية لدراســـة أســـباب كثرة الطلاق**، للعمل على تضييق نطاقه، واعتباره آخر الحلول، واتخاذها أمر به القرآن من التحكم ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء:٣٥) رأباً للصدع ومداواة للجرح قبل استفحاله.

٧. **إغـــلاق دور اللهو الحرام التي تشيع الفاحشة**، وتنتهك فيها الحرمات، ولا عبرة بما يقال من جلب السياح وكسب العملات الصعبة، فإن إثمها أكبر من نفعها، وأخلاق الأمة أولى من كسب رخيص ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (التوبة:٢٨).

٨. **مقاومـــة التقالـــيد الدخـــيلة الوافدة مع الاستعمار**، من مساخر الأزياء، وتبرج، ونشر الآداب والتقاليد الإسلامية العريقة، التي تنشر أجواء العفة والطهارة في المجتمع، فلا تسمح بظهور الكاسيات العاريات..[١].

---

[١] القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٦٤-٦٦.

ثامناً: المرأة ليست معزولة عن المجتمع

يشيع بعض المغرضين أن الإسلام حكم على المرأة بالسجن داخل البيت، فلا تخرج منه إلا للقبر، وهذا الحكم ليس له سند صحيح من القران والسنة ومن تاريخ المسلمات في القرون الثلاثة الأولى[١]. فالقرآن يجعل المرأة شريكة الرجل في تحمل أعظم المسؤوليات في الحياة الإسلامية، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر[٢]. يقول تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" [التوبة:٧١].

وانطلاقاً من هذا المبدأ وجدنا المرأة في عصر النقاء الإسلامي تسعى جاهدة للحضور الإيماني التربوي الذي يخدم مصلحة دعوتها في ساحات العلم وطلبه، والخدمة الاجتماعية، والمشاركة في الغزوات ضمن قدرتها الفطرية بما يليق بطبيعة أنوثتها فتشارك الرجال في جهاد الأعداء بما تستطيع[٣].

والإسلام يعتبر البيت مملكة المرأة وهي ربته ومدبرته ويعد عمل المرأة في تدبير البيت، ورعاية شؤون الزوج، وحسن تربية الأولاد عبادة وجهاداً، ولهذا يقاوم كل مذهب أو نظام يحاول إجلاء المرأة عن مكانتها ويخطفها من زوجها وفلذات أكبادها باسم الحرية في العمل[٤].

---

[١] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٤٦.

[٢] المرجع السابق، ص١٤٢.

[٣] المرجع السابق، ص١٤٣..

[٤] المرجع السابق، ص٣٩١.

وعن حضور المرأة مجامع الخير والجمعة والجماعات وسعيها للتعلم والتفقه في أمور دينها يقول القرضاوي[١]:

لم يمنع الدين أن يدعى النساء إلى ... مجامع الخير والعرفان والقرب

فكم شهدن جماعات، وكم جُمع ... وما مُنعن شهود العيد والخطب

وكم شهدن مع الأبطال معركةً ... لخدمة الجيش في اللأواء والنصب

وكم (لأم سليم) أو (نسيبة) من ... مواقف فاسألوا تاريخكم يجب

ونافع العلم للجنسين مفترض ... لا فرق بينهما في الحث والطلب

---

[١] النوتي: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٠.

المطلب الثاني: قضايا وشبهات ورد القرضاوي عليها

هناك العديد من القضايا والشبهات المتعلقة بالمرأة مثارة على الساحة الاجتماعية وللقرضاوي رؤية نيرة في التصدي لها ومن أبرزها:

أولاً: الإسلام وعمل المرأة

يبين القرضاوي حكم خروج المرأة للعمل وضوابطه فيقول: إن عمل المرأة الأول والأعظم الـــذي لا ينازعها فيه منازع، هو تربية الأجيال والذي هيأها الله له بدنياً ونفسياً، ويجب ألا يشغلها عن هذه الرسالة شاغل مادي أو أدبي، ولا أحد يستطيع أن يقوم مقامها[1].

"وهــذا لا يعنـــي أن عمل المرأة خارج بيتها محرم شرعاً فليس لأحد أن يحرّم بغير نص شـــرعي صحيح الثبوت، صريح الدلالة: والأصل في الأشياء الإباحة، وعلى هذا الأساس نقول: إن عمــل المـــرأة في ذاته جائز، وقد يكون مطلوباً إذا احتاجت إليه، كأن تكون أرملة أو مطلقة أو لا مـــورد لهـــا ولا عائـــل، وقد تكون الأسرة هي التي تحتاج إلى عملها كأن تعاون زوجها، أو تربي أولادهـــا، أو إخوانها الصغار، أو تساعد أباها في شيخوخته، كما في قصة ابنتي الشيخ الكبير التي ذكـــرها القـــرآن الكريم في سورة القصص وكانتا تقومان على غنم أبيهما: "قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" [القصص:٢٣][2].

---

[1] القرضاوي: قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث، ص٧٤.

[2] القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص٣٩١.

وقد يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة كما في تطبيب النساء وتمريضهن وتعليم البنات، ونحو ذلك من كل ما يختص بالمرأة، فالأولى أن تتعامل مع امرأة مثلها، لا مع رجل وقبول الرجل في بعض الأحوال يكون من باب الضرورة التي ينبغي أن نقدرها بقدرها، ولا تصلح قاعدة ثابتة[1].

وقـــد تكون المرأة عندها فضل قوة ووقت وعلم وذكاء، ولم ترزق أطفال وهناك من بلغت الخمسين أو قاربت، وتزوج أبناؤها وبناتها، وبلغت من السن والتجربة ما بلغت وعندها من الفراغ ما تشغله في عمل اجتماعي مفيد. فهل نعطل الصالحات من النساء ... ونترك المعاديات للدين[2].

شروط عمل المرأة:

ويقول القرضاوي: وإذا أجزنا عمل المرأة، فالواجب أن يكون بعد شروط:

١. أن يكـــون العمـــل فـــي ذاته مشروعاً، فلا يجوز لمرأة أن تعمل في مرقص، أو ملهى، أو سكرتيرة خاصة لرجل يقتضي عملها معه الخلوة بها متى شاء.

٢. أن تلتزم أدب المرأة المسلمة إذا خرجت من البيت: في الزي والمشي والحركة والكلام: "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" [النور:٣١]، "وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ"[النور:٣١]، "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا" [الأحزاب:٣٢].

---

(١) القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٥٩.

(٢) القرضاوي: يوسف، بناء الأسرة في الإسلام برنامج الشريعة والحياة، ١-٩-٢٠٠٤م.

www.AL-jAZEERA.net

٣. أن لا يكون على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها كواجبها نحو زوجها وأولادها وهو واجبها الأول وعملها الأساسي[١].

والمطلوب من المجتمع المسلم: أن يرتب الأمور، ويهيئ الأسباب، بحيث تستطيع أن تعمل المرأة، إذا اقتضت الضرورة – دون أن يخدش حياؤها، أو يتعارض مع التزامها بواجبها نحو ربها وبيتها ونفسها، ويمكن أن يرتب لها نصف عمل بنصف آخر لثلاثة أيام في الأسبوع مثلاً، كما ينبغي أن يمنحها إجازات كافية في أول الزواج، وكذلك إجازات الولادة والإرضاع[٢].

ومن ذلك إنشاء مدارس وكليات وجامعات للبنات خاصة، يستطعن فيها ممارسة الرياضات والألعاب الملائمة لهنّ، وأن يكن لهنّ الكثير من الحرية في التحرك وممارسة الأنشطة المختلفة.

ومـــن ذلك إنشاء أقسام أو أماكن مخصصة للعاملات من النساء في الوزارات والمؤسسات والبـــنوك، بُعداً عن مناطق الخلوة والفتنة إلى غير ذلك من الوسائل التي تتنوع وتتجدد، ولا يسهل حصرها[٣].

وخلاصة القول: إن عمل المرأة قد تبيحه الضرورة وفق شروط الإسلام وضوابطه.

وعلـــيه فـــإن الدعوة المفتوحة لعمل المرأة إسفين غرس في قلب الأسرة المسلمة للنيل منها ولزلـــزلة أركانهـــا ودعائمها ليستبدل التربية الروحية والنفسية السليمة بالتربية الصناعية العقيمة، والبـــيوت التي تغمرها السكينة والرحمة بالبيوت المتصدعة التي تقوم على أرض خائرة غير صلبة مما يؤدي في نهاية المطاف إلي تداعي المجتمع وانهياره.

---

[١] القرضاوي: قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث، ص٧٥.

[٢] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٦٣.

[٣] المرجع السابق، ص١٦٤.

ومـــن الخطر: أن يقف الإعلام إلى جانب العلمانيين وأعداء الطفولة الآمنة ليروجّوا للدعوة المفــتوحة لعمل المرأة من غير قيد أو شرط ... حتى أن تقحم في المجالات التي لا تكافئ قدراتها الفطرية بل وتسحق شفافية أنوثتها، ويعدون ذلك ضرباً من النجاح الباهر الذي تستحق المرأة عليه الــشكر والتكــريم علمــاً بــأن هناك بعض الحالات التي اقتضتها الضرورة لعمل المرأة كما بينها القرضـــاوي فمـــاذا أعـــدت المـــرأة المسلمة وماذا أعد المجتمع لهذه الأعاصير العاتية من الداخل والخارج لنمتص هذه الضربة المؤلمة ونخرج بأقل الخسائر.

ونختـــتم هـــذا المطلب بما يقوله القرضاوي حول مضار إنهماك المرأة في الاشتغال بعمل الـــرجال[1]. إن اشتغال المرأة في أعمال الرجال وانهماكها فيه بغير قيد مما لا جدل فيه له أخطار جسيمة، من جوانب شتى:

١) مضرة على المرأة نفسها لأنها تفقد أنوثتها وخصائصها، وتُحرم من بيتها وأولادها حتى إن كثيـــراً من النساء أصبن بالعقم، وبعضهم سماهن "الجنس الثالث" أي الذي لا هو رجل ولا هو امرأة.

٢) مضرة على الزوج: لأنه يُحرم من نبع سخي كان يفيض عليه بالأنس والبهجة فلم يعد عليه إلا الشكوى من منغصات العمل، وكيد الزميلات والزملاء، ناهيك عن أن الرجل يفقد كثيراً من قوامته عليها لشعورها بالاستعلاء، أضف إلى ذلك عذاب الغيرة والشك.

٣) مضرّة على الأولاد: لأن حنان الأم لا يمكن أن تمنحه بالصورة المرجوة أم متعبة، مكدودة، متوترة، فلا حالتها النفسية أو الجسمية تسمح بحسن التربية وسلامة التوجيه.

---

[1] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية ١٥٧-١٥٩.

٤) مضرّة على جنس الرجال: لأن كل امرأة عاملة تأخذ مكان رجل صالح.

٥) مـــضرّة على الأخلاق: فماذا يصلح أخلاق المجتمع إذا أصبح زيادة الدخل وكسب المال هو الهدف الأكبر.

٦) مـــضرة على الحياة الاجتماعية: لأن الخروج على الفطرة ووضع الشيء في غير موضعه الذي اقتضته هذه الفطرة، يفسد الحياة نفسها، ويصيبها بالخلل والاضطراب.

ثانياً: تعدد الزوجات

من المسائل التي تثير جدلاً ويحاول المغرضين إثارتها وكأنها استلاب لحق المرأة تعدد الزوجات. يقول القرضاوي يتناول المبشرون والمستشرقون موضوع "تعدد الزوجات" وكأنه شعيرة من شعائر الإسلام، أو واجب من واجباته وهذا ضلال أو تضليل، فالأصل الغالب في زواج المسلم أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة تكون أنس قلبه، وربة بيته، وبذلك ترفرف عليها السكينة والمودة ولذا قال العلماء: يكره لمن له زوجة تعفه وتكفيه أن يتزوج عليها لما فيه من تعريض نفسه للمحرم، قال تعالى: "وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ" [النساء: ١٢٩].

والمقصود بالمحرم: عجز الرجل عن الإنفاق على الزوجة الثانية، أو أن يخشى على نفسه ألا يعدل بين زوجتيه فحرام عليه أن يُقدم على الزواج من الأخرى[١]. قال تعالى: "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً" [النساء:٣].

وإذا كان الأفضل في الزواج أن يقتصر المرء على واحدة اتقاء للمزالق وخشية من المتاعب في الدنيا والعقوبة في الأخرة، فإن هناك اعتبارات إنسانية فردية واجتماعية جعلت الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة، لأنه دين يوافق الفطرة السليمة[٢].

---

[١] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١١٨.

[٢] المرجع السابق، ص١١٩.

الحكمة في إباحة التعدد:

والإسلام خاتم الرسالات، لذا لا بد أن تستوعب شريعته الأعصار كلها وللناس جميعاً.

فمن الناس من يكون قوي الرغبة في النسل، ولكنه رزق بزوجة لا تنجب، لعقم أو مرض أو غيره، فالأفضل أن يتزوج ممن تحقق له رغبته مع بقاء الأولى وضمان حقوقها[١].

ومن الرجال من يملك رغبة جياشة ولربما الزوجة لا تطفئ ظمأ غريزته، أفلا يتاح له أن يتزوج بأخرى حليلة، بدلاً من أن يبحث عن خليلة؟[٢].

وقد يكون عدد النساء الصالحات للزواج أكثر من عدد الرجال القادرين عليه وهنا تكون مصلحة المجتمع ومصلحة النساء تقتضي في أن يكن ضرائر، بدلاً من أن تعيش العمر كله محرومة من الحياة الزوجية، وما فيها من نعمة الأمومة ونداء الفطرة في ثناياهن يدعو إليها[٣].

التعدد نظام أخلاقي إنساني:

إن نظام التعدد – كما شرعه الإسلام – نظام أخلاقي فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء[٤]. ونظام إنساني لأن الرجل يخفف من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقلها إلى مصاف الزوجات المصونات، ولأنه يدفع ثمن اتصاله الجنسي مهراً وأثاثاً

---

[١] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٢٣.
[٢] المرجع السابق، ص١٢٤.
[٣] المراجع السابق، ص١٢٤.
[٤] المرجع السابق، ص١٢٦.

ونفقات تعادل فائدته في بناء خلية اجتماعية، ولأنه يعترف بالأولاد الذين أنجبهم هذا الاتصال، ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم[1].

تعدد الغربيين لا أخلاقي ولا إنساني:

يقول القرضاوي: إن التعدد عند الغربيين واقع من غير قانون أو بل واقع تحت سمع القانون وبصره. إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الخليلات، فليس مقتصراً على أربعة فحسب إنه لا يقع علناً تفرح به الأسرة، ولكنه سر لا يعترف به أحد، ولا يلزم صاحبه بأية مسؤولية، ولا يلزم صاحبه حتى الاعتراف بما ينتج عن هذا الاتصال من أولاد، إنه تعدد قانوني من غير أن يسمى تعدد الزوجات خال من كل تصرف أخلاقي، أو يقظة وجدانية، أو شعور إنساني، فأي مضامين الأخلاق، وأكبح للشهوة، وأرقى للمرأة، وأبرز بالإنسانية[2].

إساءة استخدام التعدد:

ولا ننكر أن كثيراً من المسلمين أساؤا استخدام رخصة التعدد الذي شرعه الله لهم، والعيب ليس عيباً في الحكم الشرعي بل عيب في التطبيق له، الناشئ عن سوء الخلق والدين ومنهم من يعدد وهو غير واثق من نفسه بالعدل، ومنهم من يعدد وهو غير قادر على النفقة اللازمة، وكثيراً ما أدى سوء استعمال هذا الحق إلى عواقب ضارة بالأسرة[3].

---

[1] القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٢٧.

[2] المرجع السابق، ص١٢٩.

[3] المرجع السابق، ص١٣٠.

ومهما يكن من انحراف البعض في هذا المجال، فلن يبلغ السوء الذي هبط إليه الغربيون، بتحريم التعدد الأخلاقي وإباحة التعدد غير الأخلاقي، علماً بأن التعدد لم يعد مشكلة في أكثر المجتمعات المسلمة، إذ الزواج بواحدة الآن غدا مشكلة المشكلات[1].

ونجد المنصفين من أهل الحضارة الغربية يطالب بفتح باب التعدد إذا وقعت دواعيه.

ويقول الكاتب الفرنسي فريشحون شيون:

"لا تخلو الدنيا من حالات يكون فيها تعدد الزوجات أسلم من الحالات الأخرى، وقد يحدث أن تصاب المرأة بمرض يقعدها ويعطلها عن واجباتها البيتية، وكما يحدث أعقاب الحروب أن يربِ عدد الإناث على الذكور، والخيار يقوم على زواج متعدد[2].

وعليه؛ يخشى أن يتسلل الخور البشري إلى المناخات الأسرية المحمومة بفقر السكينة والمودة والإشباع العاطفي والتي ترى في البديل الحلال "التعدد" خرقاً للقيم الاجتماعية السامية أو إنحطاطاً من قيمة المرأة وليس أمام الزوج أو الإناث اللاتي لم يقدر لهنّ الزواج إلا الوقوع تحت سطوة الكبت النفسي أو البحث عن البديل خارج دائرة الحلال.

أما البديل المشروع فهذا ما يسخر الإعلام والأقلام لإعلام الحرب عليه ونرى لسان الحال في الواقع المعيش يقول تعدد الخليلات مقدم على تعدد الحليلات.

ومن المستهجن حقاً أن ترى دعاة التغريب قد غرسوا هذا الاعتقاد في قلب المجتمع الإسلامي مستغلين بعض النماذج العملية المشوهة التي مارست التعدد.

---

(1) القرضاوي: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٣١.

(2) العقاد، عباس محمود، الإسلام دعوة عالمية، بيروت – المكتبة العصرية، (د.ت)، ص١٤٤.

ويقول القرضاوي: إن بعض دعاة التغريب في أوطاننا العربية والإسلامية استغلوا ما وقع من بعض المسلمين من انحراف، فقاموا يرفعون شعار إغلاق باب التعدد، في حين يصمتون صمت الغيور عن مساوئ الزنى[1].

والمناص من ذلك العودة إلى الإيمان بفهم جديد ولتجلية الغبار عن هذه الممارسات التي تنسب إلى الإسلام بغير حق ولتميّز بين قوانين المجتمع وبين قوانين الإسلام، والأصل أن يحدث بينهما الإنسجام والتناغم التام إلا التعارض والإرتطام لأن الصواب أن تُستقى قوانين المجتمع من الإسلام.

ولا بد أن تتصدى المناهج التعليمية، ووسائط التربية لوظيفتها المرتقبة.

---

[1] مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٣١.

ثالثاً: تحديد النسل

إن قضية تحديد النسل شغلت أذهان الكثير من المسلمات، وقد تضاربت الآراء ما بين محلّل ومحـــرِّم، ويرى القرضاوي: "أن النسل من المقاصد الأساسية للزواج في الإسلام حتى يتحقق بقاء النوع الإنساني، ويقوم بدوره في عمارة الأرض وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل:٧٢)[١]".

بـــيد أن الإسلام لا يريد كثرة كغثاء السيل، بل يريد الكم والكيف فإذا تعارضا فالكيف مقدم على الكم، ومن ثم لا يحول الشرع بين الأسرة وتنظيم النسل[٢].

ولكـــن ما فعله الغرب الزاحف باستعمار عقل الكثير من المسلمات ليتخذهن وسيلته الأولى في التأثير والتغير لما يخطط له في ديار الإسلام، فخرجت المرأة من دائرة تفكيرها الإسلامي مقلدة المـــرأة الغربية، فنسمع ونشاهد من لا تريد الإنجاب إلا طفلا واحد أو طفلين فقط، علماً بأن الغرب الـــذي يقـــدم لـــنا وسائل تحديد النسل بأبخس الأثمان هو نفسه يعتبر المرأة الحامل من دياره رائدة تـــستحق الشكر والرعاية الصحية والنفسية الخاصة، ليحظى بالقوى البشرية التي ربما تشكل ركناً هاماً في النهوض الحضاري له.

---

[١] القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ١٧٣.

[٢] المرجع السابق، ١٧٤.

ويبين ذلك القرضاوي فيقول:

إن القــوى البــشرية التي تملكها امتنا اليوم ليست بالهينة إذا أحسنت توظيفها، فأمتنا تملك المليار والربع من المسلمين المؤمنين بعقيدة التوحيد، بيد أن العبرة بالكيف لا بالكم، ورغم ذلك الكم له أهمية أيضاً وسنرى في تقارير الغربيين كيف يخافون تزايد أعداد المسلمين، في حين يعانون هم مــنذ مــدى من تناقص النسل بصورة تفزعهم لأنهم يدركون أن الكثرة نعمة، وهي شرط لا بد منه لأي تفــوق حــضاري، ومــن هــنا ذكر القرآن الكريم في معرض الامتنان والأنعام قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ (الأعراف:٨٦)[١].

---

[١] القرضاوي: المبشرات بانتصار الإسلام، ص٧٣-٧٤

المطلب الثالث: مشكلات وتحديات العمل في المجال النسوي

هناك تحديات داخلية وخارجية للعمل الإسلامي في المجال النسوي والذي أميل إليه والله أعلم، إن التحديات الداخلية تواجه المرأة الداعية التي اتخذت من الإسلام منهجاً بشكل خاص، والأخرى تقع تحت سطوتها المرأة التي ترى في المرأة الغربية نموذجاً يقتدى به، ويرى القرضاوي هذه التحديات تتجسد فيما يلي:

التحديات الداخلية ومنها

١- سيطرة الرجال على العمل النسوي

يقول القرضاوي: "إن الرجال دائماً يحاولون أن يسيطروا على توجيه النساء، ولا يدعون لهن الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهن وإبراز المواهب والقدرات النسائية الخاصة، لتقود العمل بمعزل عن تحكم الرجال"[١].

فلا بد أن يرفع الرجال الحجر عن النساء، ورفع الوصاية عنهن، فليس من المعقول أن يفكر الرجال للنساء، وأن يخطط الرجال للنساء في كل صغيرة وكبيرة[٢].

كما يلقي القرضاوي باللائمة على الرجال الذين أوقفوا الطاقات النسائية من العمل، والزهرات من التفتح[٣].

---

[١] المرجع السابق، ص٥٣.

[٢] القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية، ص٦٤.

[٣] المرجع السابق، ص٦٧.

٢- عدم التمييز بين الموروث الاجتماعي والمعرفة الدينية

"لقد ظلم المرأة الذي يفرض عليها تقاليد الشرق إذ صبغت في كثير من الأحيان بصبغة الدين، ونسبها من نسبها إلى ساحته، بناء على فهم فهمه، أو رأي قاده لأنه؛ لا يوافق رأيه في المرأة وسوء ظنه بها وبدينها وسلوكها"[١].

٣- تسرب الأفكار المتشددة في هذا المجال:

إن العمل النسوي قد تسربت إليه أفكار متشددة غدت تحكم العلاقة بين الرجال والنساء، وتأخذ بأشد الأقوال ومن أبرزها منع المرأة من الذهاب إلى المساجد يقول القرضاوي: "عدم حضور النساء دروس العلم بالاشتراك، ولم يُعرف في تاريخ الإسلام مسجد للنساء وحدهن مستقلاً عن الرجال. وهذا يحرم قسماً كبيراً من النساء المناقشات التي تعقد عند الرجال، والمناقشات في القضايا الإسلامية الكبيرة: فكرية وعلمية واجتماعية وتربوية، إلا حلقات تفقيهية تعقد للنساء[٢].

٤- ميل المرأة إلى الدّعة والسكون:

فقد استسلمت المسلمات ورضين بحياة الدّعة والسكون، ورضين أن يفكر لهن الرجال بدل أن يفكرن لأنفسهن وينبغي أن يأخذن زمام المبادرة، ويفتحن ميادين الدعوة، والعمل، ويخرسن الأصوات النسوية الغربية الدخيلة على عقائد هذه الأمة وقيمها وهي أصوات عالية[٣].

---

[١] القرضاوي، يوسف، فتاوي المرأة المسلمة، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦، ص٥٢.

[٢] ملائكة: في أصول الدعوة مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، ص٨٢.

[٣] المرجع السابق، ص٨١.

فيكف ترضى المسلمة أن تظل منعزلة لا يهمها أمر دينها ولا تؤرقها مصائب أمتها ولا تقاوم باطل الأخريات بحقها ونحسب أن ذلك التدين[١].

٥- الزوج

إن كثيراً من الأزواج يفرض على زوجته النشيطة المتحركة – قبل الزواج - العزلة ويمسكها في البيت لينتهي بها الأمر إلى الخمول والكسل والبعد عن ميدان العمل للدعوة[٢].

ويؤكد فتحي يكن على ذلك فيقول: "فمن الدعاة والداعيات من حسن إسلامهم بعد زواجهم، واستقام خطهم وكثر إنتاجهم، ومنهم من تردت بعد الزواج حياتهم، ثم انطوى ذكرهم عن مسرح الدعوة ووجودها"[٣].

وصيانة للحياة الزوجية من مثل هذه الانتكاسات وضع الإسلام القواعد والأسس الكفيلة التي ستحقق إسلامية البيت الزوجي وسعادة أفراده.

فلا ينبغي الزواج من مستهتر بدعوى أن تعمل المرأة على صلاحه وهدايته، فهي نية طيبة، ولكنها مخاطرة كبيرة لا تؤمن نتائجها، والمعهود أن يحاول التأثير عليها فإن لم يستطع نكّد عليها وأزعجها بجوّه الغريب عنها[٤].

---

[١] القرضاوي، قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث، ص٦٥.

[٢] ملائكة، في أصول الدعوة مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، ص١٨٢.

[٣] يكن، فتحي، مشكلات الدعوة والداعية، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥م، ص٥٠.

[٤] القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ص١٨٢.

ويرى القرضاوي المنهج السليم في الاختيار فيقول: إن المنهج المقبول هنا أن يبحث المسلم الملتزم وتبحث المسلمة الملتزمة عمن يشابهه ويلتقي معه في التزامه وتفكيره وسلوكه، بل يحسن أن يكون كلاهما متقاربين في نمط التفكير والاتجاه حتى لا يعيشا حياتهما في جدل دائم[1].

٦- قصور الفهم

كثير من المتدينات – مثل كثير من المتدينين – يحسبن أنهن بمجرد الصلاة والصيام أدينَ كل واجباتهن غافلات عن واجبات الدعوة والنصيحة "التي هي الدين" والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وكلها فروض عامة يلزم كل مسلم ومسلمة أن يقوم بما يستطيعه منها وأن يتعاون مع غيره فيها "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" [التوبة:٢][2].

تحديات خارجية:

يرى القرضاوي أن هذه التحديات تتجسد في محاولة تطويع الأسرة المسلمة للتيارات الغربية الحديثة التي يسمونها التيارات العالمية[3].

وقد أدرك العالم الغربي أن نجاح المجتمعات في مقاومته يعود إلى تماسكها، الذي يعود جذوره إلى وجود بناء أسري قوي، لا يزال قادراً على توصيل المنظومات القيمية والخصوصيات القومية إلى أبناء المجتمع[4].

---

(١) القرضاوي: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، ص١٨٢.

(٢) القرضاوي: قضايا إسلامية على بساط البحث، ص٦٦.

(٣) القرضاوي، يوسف، المسلمون والعولمة، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص٥٨.

للسكان والتنمية "والذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤ برعاية هيئة الأمم وكان من بنوده: إقرار العلاقات غير المشروعة، وإباحة الإجهاض بجعله أمر قانونياً على مستوى الدول وتقديم الثقافة الجنسية للمراهقين والمراهقات، وإباحة الممارسات الجنسية لهذه الفئة في هذا السن من خلال حقهم في سرية هذه الأمور، وعدم انتهاكها من قبل الأسرة، والحيلولة دون الزواج المبكر[١].

ويؤكد عماد الدين خليل على خطورة الأفكار المستوردة التي فرضها أوبال الغرب والشرق على المرأة والأسرة المسلمة فيقول: إن المرأة والأسرة، وكل المفردات المرتبطة بهذين القطبين الأساسيين نحو الحياة الاجتماعية في ديار الغرب تعانيان من ألف مشكلة فنقلت إلينا كما لو كانت هي الحل، فكانت خسارتنا مضاعفة على كل المستويات وبكل المقاييس، استبدالنا الأعلى بالأدنى، بمعيار معكوس كان يُصور للمتعاملين على أنه هو المقياس المطلوب والضروري في القرن العشرين[٢].

كانوا يصدرون إلينا مشاكلهم عبر موانئ الفكر المفتوحة على مصراعيها ومن خلال شبكة المستوردين والسماسرة، مخيلين للمسلمين أن المرأة المسلمة هي التي تعاني من الأزمات، وعدوا الاستقرار النفسي، والأمن الأسري، والطهارة الخلقية، والطفولة الآمنة مآخذ في الحياة الإسلامية، سعى السماسرة إلى إستيراد الحلول المناسبة لتداركها، والحلول كانت سموماً مركزة أطاحت بالاستقرار والأمن، ودست في شرايين الحياة الإسلامية الفساد، الشذوذ، الدمار[٣].

---

[١] القرضاوي: الإسلام حضارة الغد، ص٣٦-٤٢.

[٢] خليل، عماد الدين، المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٧م، ص٧.

[٣] المرجع السابق، ص٨.

المطلب الرابع: قصور العمل النسوي في الميدان الدعوي

إن الراصد للعمل النسوي في الميدان الدعوي يلحظ جلياً قصور المرأة المسلمة: يقول القرضاوي يجب أن نعترف بأن العمل النسائي لم يبلغ المستوى الذي ينبغي أن يصل إليه، وإن انتشرت الدعوة في صف النساء، فلم تظهر إلى اليوم قيادات إسلامية قادرة على مواجهة التيارات العلمانية بكفاية واقتدار[١].

ويضيف قائلاً: والعمل للإسلام وقضاياه المصيرية ليس وقفاً على الرجال فالمرأة مسؤولة كالرجل ومكلفة مثله[٢] وقد قال تعالى: "أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ" [آل عمران:١٩٥]. وإذا رجعنا إلى عصر الإسلام وما بعده من عصور الإزدهار الإسلامي نجد أن المرأة كان لها دورها في مسيرة الدعوة منذ يومها الأول. واليوم بعد أن فشا التعليم بين نساء المسلمين لا بد أن يعود للمرأة مكانها الطبيعي لتسهم في مسيرة الصحوة الإسلامية، وبناء الحياة الإسلامية المرجوة ومناصرة القضايا الإسلامية أينما كانت[٣].

فكيف ترضى المسلمة أن تظل حبيسة في قفصها الذهبي لا يهمها أمور دينها ولا يؤرقها مصائب أمتها ولا تقاوم باطل الأخريات[٤]. إن المرأة اليهودية والنصرانية والشيوعية ونحوها تعمل

---

[١] ملائكة: في أصول الدعوة مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، ص٨١.

[٢] القرضاوي، يوسف، قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث، عمان – دار الضياء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م، ص٦٤.

[٣] المرجع السابق، ص٦٥.

[٤] القرضاوي: لقاءات ومحاورات قضايا الإسلام والعصر، ص١٧٩.

لعقيدتها وتبذل من جهدها ومالها ما تراه واجباً عليها، بل رأينا منهن من تجوب الفيافي وتعيش في الأدغال لنشر عقيدتها، ومن لا تبالي بدخول السجن من أجل فكرتها[1].

ويمكن للمسلمة أن تخدم دعوتها منطلقة من قاعدة راسخة ومستعينة ببعض الأدوات منها:

١- الكلمة الدافئة:

وفي صدد الحديث عن الكلمة الدافئة والأسلوب اللين يوجه القرضاوي حديثه إلى المرأة خاصة فيقول: وعلى المرأة المسلمة أن تعامل أخواتها البعيدات عن الدين بالرفق، وتدعوهن بالحكمة وتستعين بالصبر[2]. ويقول أيضاً: والحكيم الذي يوصل ما يريد بأرق العبارات[3].

ويمكننا القول أن مطلق التعبير اللفظي يساهم في التدريب على الإستواء وهذا ما شددت عليه التوجيهات القرآنية[4] قال تعالى: "وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ" [الحج:٢٤].

وخلاصة القول إنّ على المرأة أن تولي عناية خاصة للكلمة الدافئة، ولا سيما أننا في عصر جفت فيه روافد الإحساس ومنابعه النقية، وباتت الكلمة الدافئة مقزّمة أمام هذا الضغط المادي، يقول عماد الدين خليل: "إن الإنسان المسلم وهو يشعر بضغوط المعركة القاسية في ساحات نفسه وبلاده وعالمه الراهن الذي يعيش فيه، بأمس الحاجة إلى كلمة حنان في دنيا تسودها المادية، وتخمد أنفاسها

---

[1] المرجع السابق، ص١٧٨.

[2] ملائكة: في أصول الدعوة معيشات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، ص٧٩.

[3] القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص٢١٣.

[4] البستاني، محمود، دراسات في علم النفس الإسلامي، بيروت – دار البلاغة، ط٣، ٢٠٠٠م، ص١٩٠.

الحس الثقيل"[1] فالكلمة الجميلة ليس بمقدورها التعبير عن الجمال فحسب بل تصنع بنفسها جمالياتها التي تبهر العقول والأبصار"[2].

٢- طلاقة الوجه ولين الأسلوب:

إن بعض الناس يخلطون بين الصراحة والخشونة في الأسلوب، مع أنه لا تلازم بينهما، والحكيم هو الذي يوصل ما يريد بألبق الطرق، وأرق العبارات، دون أدنى تفريط في المضمون[3].

حيث إن طيب العيش وسعادته تشكل الزوجة الهاشة الباشة الصالحة الشطر الأكبر منه.

يقول القرضاوي موجهاً حديثه إلى المرأة:

البيت روح وريحان بربته وهو الجحيم بشؤم الخلق والغضب[4]

والأسلوب الجاف الخشن يضيّع المضمون الحسن ومما ذكره الغزالي عن المأمون رحمه الله: أن رجلاً دخل على المأمون، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فأغلظ له القول، وقسا في التعبير ولم يراع أن لكل مقام مقالاً يناسبه، وكان المأمون ذا فقه فقال له: يا هذا، الرفق، إن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق، بعث موسى وهارون، وهما خير منك، إلى

---

[1] خليل، عماد الدين، جداول الحب واليقين، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٨م، ص١٣.

[2] خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص٢٩.

[3] القرضاوي: يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، قطر – رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط٦، ١٩٩٢م، ص٢١٣.

[4] النونّي: العلامة يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٤.

فرعون، وهو شر مني، وأوصاهما بقوله[1] "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣)فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(٤٤)" [طه: ٤٣-٤٤].

ومن درس سيرة رسول الله تعالى وسنته في هذا الجانب رأى في هديه: الرفق الذي يرفض العنف، والرحمة التي تنافي القسوة، واللين الذي يأبى الفظاظة، وقد وصفه الله تعالى بقوله: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" [التوبة:١٢٨].

ولا يخفى على أحد ما لطلاقة الوجه وبشاشته من أثر في اجتذاب القلوب، والتجاوب الحسي والمعنوي، وقد حث الإسلام على هذا السلوك التعاملي فقال ﷺ: "**تبسمك في وجه أخيك صدقة**"[2].

وفي الحديث إشارة إلى أن البشاشة وطلاقة الوجه من القواعد التربوية النبوية، والحذر من العبوس، وقد جاء في دراسة تربوية أن أهم الصفات التي تُرّغب بالمربين هي البشاشة لأنه تُشعر بالأمن النفسي لمن يتعامل معهم[3].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ص٢١٢.

[2] رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، ج٤، ص٣٤٠.

[3] الشوبكي، علي، التربية والمدرسة، بيروت – دار مكتبة الحياة (د.ت)، ص٦٨.

٣- القلم النظيف:

يقول القرضاوي: وإذا كانت المرأة ذات قدرات خاصة أو مواهب خاصة كأن تكون أديبة أو صحفية فإن عليها أن تشارك بجهدها ومواهبها في تغذية العمل الإسلامي، والفكر الإسلامي وإمدادهما بالوقود اللازم لدفع مسيرة الإسلام إلى الأمام[١].

وإن كانت المرأة المسلمة المعاصرة بأمس الحاجة إلى ارتياد التجربة الأدبية بعقل واع، وقلب مخلص لتقدم الأدب الملتزم كبديل لهذا الذي يغرق بغوائل الانحطاط؛ لتحمي بنات جنسها من لوثة المغرضين وتحقق قدراً معقولا من الحضور النسوي الإسلامي على الساحة المعاصرة، فهناك بلا ريب طاقات إبداعية نسائية لزاما علينا أن نعينها على ارتياد التجربة، ونصرتها كل حسب قدرته؛ مما يحتم على المرأة أن تعمل لدينها وتتفانى من أجل هذا الهدف: إلا أن المرأة المسلمة تواجه من التحديات والمشكلات الخارجية والداخلية ما يعيق عملها التربوي والدعوي. ولكن على أن يتم أداء هذا الدور في إطار وظروف وفق ضوابط يرتضيها الإسلام.

---

[١] القرضاوي: قضايا إسلامية على بساط البحث، ص٧٢.

المجالات التي تستطيع أن تخدم المرأة دينها

إن المرأة المسلمة اليوم – وبخاصة المثقفة – تستطيع أن تخدم دينها، وتعمل لنصرة قضاياه في عدة مجالات كما يراها القرضاوي:

أولاً: في العمل مع بنات جنسيها لتوعيتهن وكسبهن لنصرة دينهن والإسهام في العمل الإسلامي، وهذا ليس بالمجال الضيق فالمرأة نصف المجتمع، وهناك المبهورات بالحضارة الوافدة والمسجونات في سجن التخلف لا بد من دعوتهن والمعايشة لهن بحسن الصحبة حتى تنقلب أفكارهن ويعدن إلى الله[1].

ثانياً: هناك مجال آخر مهم لعمل المسلمة الملتزمة وهو عملها، مع زوجها وأبنائها، وإن كان هؤلاء من أهل الدعوة، كانت لهم خير معوان على رسالتهم، رب كلمة تشجيع أو تثبيت من زوجة صالحة أو أم مؤمنة كان لها أكبر الأثر في موقف زوجها أو ابنها، وإن كان الزوج أو الأبناء من ذوي التدين الانسحابي عن قضايا المسلمين فعليها أن تجتهد في دعوتهم ليقوموا بالدور الملقى على عاتقهم[2].

ثالثاً: في مجال العمل الإسلامي العام، الذي يشترك فيه الرجال والنساء ويخاطب فيه الجنسان أيضاً؛ فالمرأة المسلمة الملتزمة إذا كانت داعية أو مربية أو صحفية، أو أديبة أو ذات موهبة أو قدرة خاصة يمكنها أن تشارك بجهدها ومواهبها في تغذية العمل الإسلامي وإمداده بالوقود اللازم والذي يتطلب من كل قادرة وقادر ألا يبخل عليه مما يدفعه إلى الأمام[3].

---

[1] القرضاوي: قضايا إسلامية على بساط البحث، ص٦٦.

[2] المرجع السابق، ص٦٦.

[3] المرجع السابق، ص٦٧.

وعليه؛ فإن قضية المرأة هي السلاح الفتاك بأيدي المغرضين، وهي الضربة التي تصيب قلب الأمة وتجمد الحياة الآمنة في شريانها.

وإنني أرى والله أعلم أن المرأة في الحياة الإسلامية لم تشهد إعصاراً أعتى من هذه الأعاصير التي تريد أن تجتث جذورها، وتسحق دفء أنوثتها، وتقصيها عن دائرة إنسانيتها، وهي تعيش تحت سطوة مطرقتين الأولى: تريد أن تسحب نموذج المرأة الغربية عليها والثانية: تفرض عليها موروثاً اجتماعياً لا أصل ديني له.

وإذا أرادت المرأة الخروج والنجاة، ربما يدب بها الحماس لتنحى تيار الاستعجال والارتطام أو تؤثر العزلة والتقوقع فتحيا تيار الانسحاب والانهزام والانكسار.

والثلة القليلة من خرجت من ضغوط التحديات من الواقع المعيش بتيار وسطي معتدل، لتثبت حضوراً دعوياً وتربوياً في ساحة نفسها وأسرتها وعالمها الرحب، متسلحة برصيد إيماني قوي يحميها من لهيب المجتمع الكاوية. تسير على هدى ونور. تعلم أن الدنيا دار كبد وابتلاء، وهي مستخلفة ومسؤولة وعلى يقين قاطع بأن رسالة الأمومة والزوجية تحتل الصدارة في سلم أولوياتها ومن ثم تنطلق لكثير من مواقع التمكين؛ لتسهم في النهضة الإسلامية.

ولا يحسب أحد أن المرأة لا تشغل حضوراً بارزاً لاشتعال فتيلة الإبداع للمشروع الحضاري الإسلامي فهي أم "الرجال والنساء معاً" وأخت الرجال وزوجة الرجال ومن محضنها الطاهر تخرج للأمة العناصر البشرية المبدعة من كلا الجنسين والتي تحمل لواء البناء.

وحسبنا أن أول صوت نطق بالشهادتين صوت امرأة، وأول قطرة دم شهيدة في الإسلام هي دم امرأة.

يقول القرضاوي[1]:

يا رُبَّ أنثى لها عزم، لها دأبٌ فاقت رجالاً بلا عزم ولا دأب

ما عيشة المرء لا علمٌ ولا عمل لا في الكتيبة ترجوه ولا الكتب

ويبقى السؤال الذي يثير جدلاً وينتظر الإجابة من ينصر المرأة التي تحمل الهم الدعوي؟

ومن يعينها للخروج بأقل الأخطار فكم من امرأة فاقت الرجال برحابة عقلها وحكمتها.

وفي نهاية المطاف ليس الفيصل رجل أو امرأة بمقدار من يخدم مصلحة الدعوة.

---

[1] التوني: العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً، ص١٥٢.

النتائج والتوصيات

النتائج:

يمكن أن أجمل النتائج التي توصلت إليها بعد إنهاء هذه الدراسة – بفضل الله ورحمته – فيما يلي:

- يعد القرضاوي من الفئة المبدعة، ومن أبرز سماته الشخصية: علو الهمة، ورحابة الصدر، والوفاء، وله عطاء علمي مميز.
- هناك عدة مصادر كونت معرفة القرضاوي منها: القرآن الكريم والسنة النبوية ودراسته الأزهرية، وتجربته العملية في الدعوة، وتأثره ببعض العلماء.
- التوحيد والإخلاص، والإيمان بالقدر والعبادة، والصبر، والأمل والرجاء هذه مجتمعة ركائز التربية الإيمانية للمرأة.
- من أهم معينات التربية الإيمانية كما يراها القرضاوي: العلم الراسخ، والمجاهدة للنفس، والصحبة الصالحة، وذكر الموت، والدعاء، والاستعانة بالله، وقراءة سيرة الصالحين، ومعرفة الإنسان ضعفه وعجزه.
- أبرز معالم التربية الاجتماعية كما يراها القرضاوي: إعداد المرأة بنتاً بارة وزوجة صالحة، وأماً فاضلة؛ لتقوم بوظيفتها الاجتماعية بأعلى درجاتها الممكنة، وإن ترك المرأة الساحة الدعوية وانعزالها عن الحياة وجهلها بالتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها هو قصور في فهم حقيقة هذا الدين، حيث أن العمل لإصلاح المجتمع وواجبٌ شرعيٌ مكلفة به المرأة كما كلف به الرجل، كل حسب قدرته واستعداداته الفطرية.

التوصيات:

في نهاية المطاف توصي الباحثة بما يلي:

١. الاستفادة من معطيات العصر ومستحدثاته للتربية الإيمانية للمرأة.

٢. تصحيح مفهوم التربية الاجتماعية في ذهن المرأة ومحيطها والتمييز بين الموروث الاجتماعي والمعرفة الدينية لتقود المرأة وظيفتها الاجتماعية التي أرادها الله باعتبارها واجباً شرعياً مكلف به الرجل كما كلفت به المرأة.

٣. تشجيع النساء ممن يمتلكن مواهب وقدرات خاصة لارتياد المجالات التي تخدم مصلحة الدعوة.

٤. العمل ضمن جهد مؤسسي لبناء نظرية إسلامية لتربية المرأة تطفئ ظمأ العصر وتمتص تحدياته ومعوقاته وتستفيد من معطياته وتجد فيها المسلمة النجاة من عذاب الآخرة حيث تسير من خلالها على هدى ونور.

٥. إجراء دراسات لتربية المرأة في مجالات أخرى كالتربية النفسية والتربية الجمالية والتربية الثقافية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

- **القرآن الكريم**
- الإبراهيم، محمد عقلة، **أثر غياب التربية الإسلامية في المشكلات التي يتعرض لها الطفل**، نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٤-٢٧ تموز، ١٩٩٠م جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، الأردن-عمان، ١٩٩١م.
- ــــــــــــــــ، **الإسلام مقاصده وخصائصه وموجباته** – عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٩٨٨م، ج١.
- ــــــــــــــــ، **نظام الأسرة في الإسلام**، عمان – مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٩٨٩م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح سنن ابن ماجه**، بيروت – المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، القاهرة – دار الشعب، (د.ت).
- الألوسي، عادل كامل، **الحب عند العرب**، بيروت – الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٩٩م.
- بادحدح، علي عمر، **مقومات الداعية الناجح**. جدة – دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٩٩٧م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد، **صحيح البخاري**، بيروت – دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م، ١٤١٤هـ.

- البستاني، محمود، **دراسات في علم النفس الإسلامي**، بيروت – دار البلاغة، ط٣، ٢٠٠٠م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، حمص، مطبعة الأندلس، (د.ط)، ١٩٦٦م.
- ابن تيمية، أحمد، **مكارم الأخلاق**، تحقيق عبد الله بدران، عمر الحاجي، دار الخير، ط١، ١٩٩٤.
- تليمة، عصام، **يوسف القرضاوي، فقية الدعاة وداعية الفقهاء**، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠١م.
- جاد المولى، محمد أحمد، **الخلق الإسلامي**، بيروت – منار للنشر، ص١٠٠، ط١، ١٩٩٠م.
- جمال، أحمد، **نحو تربية إسلامية**، بيروت – دار إحياء العلوم، ط٣، ١٩٨٧م.
- الجمل، علي، اللقاني، أحمد، **معجم مصطلحات التربية**، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، **تلبيس إبليس**، تحقيق السيد الجمبلي، بيروت – دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥.
- جولمان، دانبل، **الذكاء العاطفي**، ترجمة ليلى الجبالي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠م.
- ابن حزم، أبي محمد، **طوق الحمامة في الألفة والألاّف**، تحقيق حسن كامل الصيومي، إبراهيم الأنباري، مصر، مطبعة الاستقامة، ١٩٦٤م.
- الحسن، إحسان محمد، **علم الاجتماعي البشري**، بغداد – مطبعة. ط١، ١٩٧٠م.

- حسن، عبد الحميد، **مشروع ببلوجرافية يوسف القرضاوي**، عالم الكتب، دار ثقيف للنشر والتوزيع، المجلد الخامس والعشرون، العدد الخامس والسادس (مزدوج).
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن الحسين، **مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، بيروت، المكتب الإسلامي، د.ط، (د.ت).
- الخداش، جاد الله بن الحسن، **المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة**، عمان – المكتبة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م.
- الخرايشي، سليمان، **القرضاوي في الميزان**، الرياض – دار الجواب للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.
- خطار، محمد يوسف، **التربية الإيمانية والنفسية للأولاد**، دمشق – دار التقوى، ط١، ٢٠٠٣م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد، **تاريخ بغداد**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – دار الكتب العلمية، ج٣، ط١، ١٩٩٧م.
- الخطيب، جمال، والحديدي، منى، **تعديل السلوك**، عمان، جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٧م.
- خليل، عماد الدين، **الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي**، عمان –دار الضياء، ط١، ٢٠٠٠م.
- ــــــــــــــ، **المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي**، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٧م.
- ــــــــــــــ، **جداول الحب واليقين**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٨م.

- ـــــــــــــــــــــ، **حـــول إعـــادة تشكيل العقل المسلم**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥م.

- ـــــــــــــــــــــ، **مـــدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٨م.

- دافـــيدون، **مدخل علم النفس**، ترجمة سيد الطواب محمود، عمر، القاهرة – مكتبة التحرير، ط٣، ١٩٨٠م.

- الذهبـــي، شـــمس الـــدين، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨١م.

- الـــرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **التفسير الكبير**، بيروت – لبنان – دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلام تحقيق** يوسف البقاعي، بيروت – المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٦م.

- الرفاعي، نعيم، **الصحة النفسية**، دمشق من منشورات جامعة دمشق، ط٧، ١٩٨٧.

- الزهرانـــي، **مهـــارات الـــتدريس فـــي الحلقات القرآنية**، السعودية – دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.

- الـــسائح، عـــبد الحميد، **عقيدة المسلم وما يتصل بها**، عمان – منشورات وزارة الأوقاف، ط٢، ١٩٨٣م.

- سعد الدين، ليلى، **المرأة في الإسلام بنتاً وزوجة وأماً**، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٢م.
- ابن سعدي، عبد الرحمن، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، الرياض – المؤسسة السعدية، (د.ط).
- سلامة، أحمد عبد العزيز، عبد الغفار، عبد السلام، **علم النفس الاجتماعي**. دار النهضة العربي، ط١، ١٩٧٩م.
- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، **أزمة العقل المسلم**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط١، ١٩٨١م.
- الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**. بيروت – دار المعرفة، (د.ت).
- الشريف، محمد كمال، **سكينة النفس تأملات نفسية إسلامية**، دمشق –دار ابن كثير، ط١، ١٩٩٦م.
- الشيخلي، عبد القادر، **فضيلة الصبر ورذيلة الجزع**، اربد– منشورات وزارة الأوقاف، ط١، ٢٠٠٠م.
- الصاوي، محمد، **الطفولة ورعايتها**، (د.ن)، ط١، ٢٠٠٤م.
- **صحيح سنن أبي داود** (باختصار السند)، اختصر أسانيده وعلّق عليه وفهرسه زهير الشاويش، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٩٧٩م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي السلفي، الموصل – العراق، مطبعة الزهراء الحديثة، ط١، ١٩٨٠م.

- الطيالسي، سليمان بن داود، **مسند أبي دواود الطيالسي**، الهند – دار المعارف النضامية، ط١، ١٩٠١م.
- العتوم، عدنان، **علم النفس المعرفي**، عمان – دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- العقاد، عباس محمود، **الإسلام دعوة عالمية**، بيروت – المكتبة العصرية، (د.ت).
- علي بن أبي طالب، **نهج البلاغة**، بيروت – دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٠م.
- عمارة، محمد، **الدكتور يوسف القرضاوي، المدرسة الفكرية والمشروع الفكري**، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧.
- العمايرة، محمد حسن، **التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية**، عمان – دار البشير، ط٤، ٢٠٠٥م.
- العناني، حنان عبد الحميد، عبد الجابر، **سيكولوجية النمو وطفل ما قبل المدرسة**، عمان – دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
- غارودي، روجيه، **الإسلام الحي**، ترجمة دلال بواب ضامر، محمد كامل ضامر، بيروت – دار البيروني للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٥.
- أبو غدة، عبد الفتاح، **صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل**، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٥، ١٩٩٧.
- الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، بيروت – دار المعرفة (د.ت) ج٣.
- الغزالي، محمد، **الجانب العاطفي في حياة المسلم**، مكتبة حسان، (د.ت).

- ــــــــــــ، **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة**، بيروت – دار الشروق، ط٣، ١٩٩١م.

- غيث، محمد عاطف، **قاموس علم الاجتماع**، القاهرة – الهيئة المصرية للكتاب، ط١، ١٩٧٩م.

- القرضاوي: يوسف، **الإسلام حضارة الغد**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥م.

- ــــــــــــ، **التوبة إلى الله**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٨م.

- ــــــــــــ، **التوكل على الله**، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م.

- ــــــــــــ، **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**، قطر – رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط٦، ١٩٩٢م، ص٢١٣.

- ــــــــــــ، **النية والإخلاص**، عمان – دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

- ــــــــــــ، **فتاوي المرأة المسلمة**، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م.

- ــــــــــــ، **قضايا إسلامية على بساط البحث**، عمان – دار الضياء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.

- ــــــــــــ، **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط (٣)، ٢٠٠١م.

- ــــــــــــ، **قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث**، عمان – دار الضياء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.

- ـــــــــــــــــــــــ، الحـل الإسلامي فريضة وضرورة، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٩٩٣م.
- ـــــــــــــــــــــــ، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٩.
- ـــــــــــــــــــــــ، المسلمون والعولمة، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م.
- ـــــــــــــــــــــــ، ثقافة الداعية، بيروت –مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٧٩م، ص٩٤.
- ـــــــــــــــــــــــ، جـريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة، عمان – دار الفرقان، ط(١)، ١٩٩٦م.
- ـــــــــــــــــــــــ، فتاوي المرأة المسلمة، عمان – دار الفرقان، ١٩٩٦.
- ـــــــــــــــــــــــ، فتاوي معاصرة، بيروت – المكتب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠م.
- ـــــــــــــــــــــــ، فقه الأقليات المسلمة، القاهرة – دار الشروق، ط١، ٢٠٠١م.
- ـــــــــــــــــــــــ، كيف تتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، عمان – المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٣.
- ـــــــــــــــــــــــ، موقـف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤي ومن الرقائق والكهانة والرقي، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٤م.
- ـــــــــــــــــــــــ، الإسلام كما نؤمن به ضوابط وملامح، القاهرة – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.

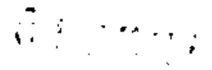
- __________، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١م.
- __________، ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة، القاهرة – دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢م.
- __________، برنامج الشريعة والحياة www.AL-jazeeRA.net
- __________، الإسلام والفن، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م.
- __________، الإيمان والحياة، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤م.
- __________، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٩م.
- __________، الحلال والحرام، الدار البيضاء – دار المعرفة، ط١، ١٩٨٥.
- __________، الحياة الربانية والعلم، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م.
- __________، الدين في عصر العلم، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م.
- __________، الرسول والعلم، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م.
- __________، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، القاهرة – دار الشروق، ط١، ١٩٩٧م.
- __________، الصبر في القرآن الكريم، بيروت- قوس ص١٩٧، الرسالة، ط١، ١٩٩٠م.
- __________، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٥م.

- ___________، **الغزالي رجل الدعوة، العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي رحمه الله**، قاعة المركز الثقافي الإسلامي، مسجد الشهيد الملك عبد الله بن الحسين، ٢٠ حزيران – ١٩٩٦ المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- ___________، خالد، السعد، **خطب النسيج القرضاوي**، القاهرة – مكتبة وهبة، ج٢، ط١، ١٩٩٨م.
- ___________، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، بيروت – مؤسسة الرسالة. ط١ ٢٠٠٠م.
- ___________، **مدخل لمعرفة الإسلام خصائصه أهدافه ومقوماته**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م.
- ___________، **مركز المرأة في الحياة الإسلامية**، عمان – دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م.
- ___________، **الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته**، دمشق – دار القلم، ط١، ٢٠٠١م.
- ___________، **مسلمة الغد**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط؟، ٢٠٠٥م.
- ___________، **نساء مؤمنات**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٠م.
- ___________، **ثقافة الداعية**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٧٩م.
- القرني، عائض، **اسعد امرأة في العالم**، الرياض، مؤسسة الريان، ط٦، ٢٠٠٥م.
- ___________، **هذه عقيدتي**، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢.

- قطب، سيّد، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، بيروت – دار الشروق، ط٧، ١٩٨٢م.
- ____________، **السلام العالمي والإسلام**، بيروت – دار الشروق، ط٦، ١٩٨٢م.
- قطب، محمد: **منهج التربية الإسلامية**، بيروت – دار الشروق، ج٢، ط٦، ١٩٨٢م.
- ____________، **هل نحن مسلمون**، بيروت – دار الشروق، ط٦، ١٩٨٦، ص٤٥.
- قمبر، محمود، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، الدوحة – دار الثقافة، ط١، ١٩٨٧م.
- قطب، محمد، علي، **الحب والجنس من منظور إسلامي**، القاهرة – مكتبة القرآن، (د.ت).
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق حمدي بن محمد، مكتبة المورد، ط١، ٢٠٠٢م.
- ____________، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، بيروت – دار الكتب العلمية، (د.ط).
- ____________، الداء والدواء، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت – المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م.
- ____________، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، بيروت – دار الفكر، ج١، (د.ت).
- كساب، أكرم، **المنهج الدعوي عند القرضاوي**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٥م.
- الكسواني، ناصر، **الإخلاص والنية الصادقة**، عمان – دار العلوم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص١٤٢.

- الكيلاني، حامد عرسان، **رسالة مفتوحة إلى الفتاة المسلمة في عصر العولمة**، دبي – دار القلم، ط١، ٢٠٠٥م.
- ابـــن ماجـــه، أبـــو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة خليل شيحا، بيروت – دار الكتب المعرفية، ط١، ١٩٩٦م.
- محجوب، عباس، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، عجمان – مؤسسة علوم القرآن، دمشق – دار ابن كثير، ط١، ١٩٨٧م.
- محفـــوظ، محمـــد جمـــال، **تربية المراهق في المدرسة الإسلامية**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٧م.
- محمـــد السيد، محمد الصالح، **إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ، محمد عبدة**، القاهرة – دار قباء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨.
- محمـــــــود، مـــــــصطفى، **علــــم نفـــــس قرآنـــــــي**. www.islamset.com /Arabic/apsyeno/mmohtml
- المـــدائن، ابـــن ابي الحديد عز الدين، **شرح نهج البلاغة**، تعليق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت -دار الجيل، ط١، ١٩٨٧.
- مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت – دار ابن حزم، ١٩٩٥م.
- **المعجـــم الوســيط**، تحقـــيق محمـــود الطحان، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٧م.
- ملائكة، مصطفى، **في أصول الدعوة مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي**، القاهرة – مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٩م.

- ميخائيل، أسعد يوسف، **التفاؤل والتشاؤم**، القاهرة – دار نهضة مصر (د.ت) ط١.
- نجاتي، محمد، **الحديث النبوي وعلم النفس**، بيروت – دار الشروق، ط١، ١٩٨٩م.
- الندوي، أبو الحسن الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، بيروت – دار الكتاب العربي، ط٤ (د.ت).
- الندوي، أكرم، **كفاية الراوي عن العلامة يوسف القرضاوي**، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠٠.
- السائح، عبد الحميد، **عقيدة المسلم وما يتصل بها**، عمان – منشورات وزارة الأوقاف، ط٢ ، ١٩٨٢م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **السنن** (المعروف سنن النسائي)، ضبط نصها أحمد شمس الدين، بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م.
- النوتي، زكريا، **العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعراً**، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.
- النوري، قيس، **طبيعة المجتمع البشري**، بغداد – مطبعة أسعد، ط١، ١٩٧٠م.
- النووي، يحيى بن شرف الدين، **الأذكار**، بيروت – دار الفكر، ط٢، ١٩٩٨م.
- الهاشمي، عبد الحميد، **الرسول العربي والمربي**، سوريا – دار الثقافة للجميع، ط(١)، ١٩٨١م.
- ـــــــــ، **شخصية المرأة كما يصوغها الإسلام**، بيروت – دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٤م.



- ولسون، كولن، **سقوط الحضارة**، ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت – منشورات دار الآداب، ط٢، ١٩٧١م.
- يكن، فتحي، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة (د.ت) ص٩٧.
- ـــــــــــــــ، **مشكلات الدعوة والداعية**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٥م.
- ـــــــــــــــ، **نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.

ملحق رقم (١)

مؤلفات فضيلة الدكتور: يوسف عبد الله القرضاوي

- في الفقه وأصوله:

١. الحلال والحرام في الإسلام.
٢. فتاوى معاصرة ج١.
٣. فتاوى معاصرة ج٢.
٤. فتاوى معاصرة ج٣.
٥. الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.
٦. مدخل دراسة الشريعة الإسلامية.
٧. من فقه الدولة في الإسلام.
٨. نحو فقه الدولة في الإسلام.
٩. نحو فقه ميسر معاصر.
١٠. الفتوى بين الانضباط والتسبب.
١١. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد.
١٢. الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.

- في الاقتصاد الإسلامي:

١. فقه الزكاة (جزءان).
٢. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.
٣. بيع المرابحة للآمر بالشراء.
٤. فوائد البنوك هي الربا الحرام.

- في ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية:

١.الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي.
٢.اين الخلل.
٣.أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادة.
٤.في فقه الأولويات.
٥.الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه.
٦.الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
٧.ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.
٨.غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.
٩. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.
١٠.الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم.

- شخصية إسلامية:

١. الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه.
٢. الشيخ الغزالي كما عرفته: رحلة نصف قرن.
٣. الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العالم الإسلامية (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
٤. نساء مؤمنات.

- في الأدب والشعر:

١. نفحات ولفحات – ديوان شعر.
٢. المسلمون قادمون – ديوان شعر.
٣. يوسف الصديق – مسرحية شعرية.
٤. عالم وطاغية – مسرحية تاريخية.

- رسائل ترشيد الصحوة:

١. الدين في عصر العلم.
٢. الإسلام والفن.
٣. النقاب للمرأة بين القول

٥. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.

- في علوم القرآن والسنة:

١. الصبر في القرآن.
٢. العقل والعلم في القرآن الكريم.
٣. كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟
٤. كيف نتعامل مع السنة النبوية؟
٥. تفسير سورة الرعد.
٦. المدخل لدراسة السنة النبوية.
٧. المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان).
٨. السنة مصدراً للمعرفة والحضارة.

- عقائد الإسلام:

١. وجود الله.
٢. حقيقة التوحيد.
٣. الإيمان بالقدر.

- في فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة:

١. الحياة الربانية والعلم.
٢. النية والإخلاص.
٣. التوكل.
٤. التوبة إلى الله.

- في الدعوة والتربية:

١. ثقافة الداعية.

١١. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.
١٢. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم.
١٣. التطرف العلماني في مواجهة الإسلام.

- سلسلة حتمية للحل الإسلامي:

١. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.
٢. الحل الإسلامي فريضة وضرورة.
٣. بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين.
٤. أعداء الحل الإسلامي.

- نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام:

١. شمول الإسلام.
٢. المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.
٣. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى من التمائم والكهانة والرقي.
٤. لسياسة لشرعية في ضوء نصوص

ببدعيته والقول بوجوبه.
٤. مركز المرأة في الحياة الإسلامية.
٥. فتاوى للمرأة المسلمة.
٦. جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة.
٧. الأقليات الدينية والحل الإسلامي.
٨. المبشرات بانتصار الإسلام.
٩. مستقبل الأصولية الإسلامية.
١٠. القدس قضية كل مسلم.
١١. حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا.
١٢. ظاهرة الغلو في التكفير.

- محاضرات الدكتور القرضاوي:

١. السنة والبدعة.
٢. زواج المسيار – حقيقة وحكمة.
٣. الضوابط الشرعية بناء المساجد.
٤. موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى.

٢. التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا.
٣. الإخوان المسلمون ٧٠ عاماً في الدعوة والتربية.
٤. الرسول والعلم.
٥. الوقت في حياة المسلم.
٦. رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد.

الشريعة ومقاصدها.

- إسلاميات عامة:

١. الإيمان والحياة.
٢. العبادة في الإسلام.
٣. الخصائص العامة للإسلام.
٤. مدخل لمعرفة الإسلام.
٥. الإسلام حضارة الغد.
٦. الناس والحق.
٧. جبل النصر المنشود.
٨. درس النكبة الثانية.
٩. خطب الشيخ القرضاوي ج١.
١٠. خطب الشيخ القرضاوي ج٢.
١١. خطب الشيخ القرضاوي ج٣.
١٢. خطب الشيخ القرضاوي ج٤.
١٣. لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصرج١
١٤. لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصرج٢
١٥. قضايا معاصرة على بساط البحث.
١٦. قطوف دانية من الكتاب والسنة.

٥. الجويني إمام الحرمين بين المؤرخين: الذهبي والسبكي.
٦. الاستلحقا والتبني في الشريعة الإسلامية.
٧. عمر بن عبد العزيز الراشد المجدد.
٨. لماذا الإسلام؟
٩. الإسلام الذي ندعو إليه.
١٠. واجب الشباب المسلم.
١١. مسلمة الغد.
١٢. الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير.
١٣. قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام.
١٤. لكي تتجح مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر.
١٥. التربية عند الإمام الشاطبي.
١٦. مع المصطفى في بيته.

ملحق رقم (٢)

قائمة بأسماء كتب ينصح القرضاوي العودة إليها في مجال العقيدة (الإيمان) والأسس الفكرية[١].

١. سنن الله في الكائنات: محمد أحمد الغمراوي.
٢. مع الله في السماء: أحمد زكي.
٣. تفسير الجواهر للفطاوي.
٤. العلم يدعو للإيمان.
٥. عقائد المفكرين في القرن العشرين: عباس محمود العقاد.
٦. الله يتجلى في عصر العلم: وحيد الدين خان.
٧. تجديد الفكر الديني: محمد إقبال.
٨. قصة الإيمان بين العلم والفلسفة: نديم الجسر.
٩. مبادئ الإسلام: أبو الأعلى المزدودي.
١٠. العقائد الإسلامية: سيّد سابق.
١١. خصائص التصور الإسلامي: سيّد قطب.
١٢. نظام الإسلام: العقيدة والعبادة: محمد المبارك.
١٣. الله جل جلاله: سعيد حوى.

---

[١] هذه القائمة بأسماء الكتب بعضاً منها أشار إليه القرضاوي بصورة مباشرة في كتاب ثقافة الداعية، ص٩٩. وأخرى إشارة غير مباشرة في كتاب الإيمان والحياة، من خلال كثرة الاستشهاد أو الإشارة إليه في الحاشية، ص ٣١٣-٣٣٨.

١٤. الرسول ﷺ

١٥. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: عباس العقاد.

١٦. عقيدة المسلم: محمد الغزالي.

١٧. الإيمان والحياة: يوسف القرضاوي.

١٨. الأركان الأربعة: أبو الحسن الندوي.

١٩. العبادة في الإسلام: يوسف القرضاوي.

ABSTRACT

Al- Momani- Insaf Ayoub. The Education of Woman in Al-Qardawi Thought. Yarmouk University (2005)

Sharite Supervisor Prof. Abass Mahjoob

Educational Supervisor

Prof. Shaidia Al- Tal

This study sought to clarify the significant features. of education of woman in AL- Qardawi thought from social and spiritual aspects. The study was divided into three chapters: The first chapter addressed AL-Qardawi personal life, the sources which formed his educational knowledge.

- The second chapter addressed the issue of the spiritual education of woman, how to gain this education in the first section, the social education of woman in the second section focuson the most important issues concerning woman and shifting this issue to the essence of the present context, the challenges and requirements of the present.
- The last chapter presented a view of AL- Qardawi perceptions about the education of woman.

The study concluded to the following results:

- AL- Qardawi belongs to the creative category which represents the hights'level in the Islamic nation in these days.

- There are several resources which formed AL- Qardawi knowledge, these sources are the Holy Quran, Al- Hadith, and his study at Al- Azhar.
- The spiritual education is the basic of any other type of education.
- AL- Qardawi did not overpass the line which Al- Quran made for spiritual education. This spiritual education was presented both for man and woman. AL- Qardawi did not addressed the specified educational implication for woman in details.
- It comes in the first place with respect to educational means and family, especially that the early ages of development of a child lies in the hand of women.
- The most productive results from the spiritual education is preparing a good woman to perform her role the best way possible. This is the goal of any woman belonging to this religion. The elimination of woman's role and making her isolated from life's problems results from lack of perception about the nature of religion.
- There are several locations that Al-Daia' can approach to address her cultural project, or to contribute in this project so as some woman leaders can step forward to play the most appropriate role.

- AL- Qardawi has a very interesting view about the education of woman which we cannot neglect. This view integrates between the actual life requirements and the sharite courts.